



رواية

الزقووم 2

— الروحانے الأخير —

أحمد فرحات

تدقيق لغوي: إسراء جمال

تصميم الغلاف: زينة

إلى كل من أصابهم سحر أو مس من العالم الآخر
أنتم أبطال تقاومون في كل يوم شرًا لا يستطيع غيركم ان يواجهه
بعض الاختبارات تختار أصحابها
كل دعواتي لكم
فأنتم تستحقوا كل التقدير والدعم
وهذه الرواية ربما لن تروق لكم
لكن لكم كل احترامي وحيي

في عالم التعهداتُ فيه بلا قيمة، حيث تقطع الوعود والنذور فقط لينكث الناس
بها، سيكون من الجميل أن ترى الكلمات وقد استردت قوتها..
تشاك بولانيك-

نور

كنت في العاشرة عندما رأيت بدر في شارعنا للمرة الأولى، من شرفة منزلي شاهدت سيارة ضخمة تقف أمام البيت الذي يجاور بيتنا وبصوت متعب أعطى رجل كبير الأوامر للعمال بأن يقوموا بنقل الأثاث، ومن بعيد كان أبي عائداً إلى المنزل حاملاً احتياجاتنا من السوق، عندها رأيت بدر للمرة الأولى وهو يهبط من السيارة بأعين ناعسة مرتطمًا بأبي، لتسقط منه الأشياء التي يحملها، حاول الرجل الكبير مساعدته لكن قسماًت وجه أبي كانت تحمل الكثير من الكراهية فابتعد الرجل معتذراً عما فعله الفتى.

تركهما أبي عائداً دون استئذان، وسمعتة عند دخوله المنزل يتمتم ساخطاً:

_دجال أم ساحر.. أم كلاهما ... هل كان ينقص شارعنا شخصاً كهذا!

ذهبت إليه سائلة:

_ ما بك يا أبي؟

انتبه لحديثه، فقال محاولاً تغيير دفة الحديث:

_ لا شيء يا نور.. لا شيء.

لكنه كان قد أثار شغفي تجاه سكان البيت، ظللت طوال الأيام التالية أراقب المنزل الذي يجاورنا لعلي أرى الرجل طائراً على (عصا) مقشدة قديمة أو ألمحه وهو يظهر أحد الأشياء السحرية من قبعتة.. لكن خاب ظني حتى مللت الأمر ونسيتته تماماً، لتمر خمسة أعوام كاملة على تلك الذكرى دون أن يثير الأمر انتباهي مرة أخرى، حتى ذلك اليوم ...

وقف بدر أمام بوابة بيته، ثمَّ نظر يميناً ويساراً وأخرج حباً من جيب بنطاله، ثمَّ تتمَّ ببعض الكلمات لتأتي الطيور من كل صوب وهو مغمض العينين ويحرك شفثيه كأنه يحادثها، ثمَّ نظرت تجاهي إحدى الحمامات أعقبها هو بنظرة نحوي ليجدني واقفة خلف شرفة غرفتي، فألقى ما تبقى في يده من حب وغادر المكان عائداً إلى البيت، كان الأمر مثيراً للإعجاب والخوف في آن واحد. جلست خلف زجاج الشرفة منتظرة عودته أو ظهوره مرة أخرى لكنه لم يأت حتى غلبنى النوم، في البداية لم أستطع التفرقة هل هذا حلم أم واقع، كانت خطواته بطيئة لكنه وقف أمام سريري منتصباً وهو يسألني:

_ من أنت؟

حاولت أن أصرخ لكنني لم أستطع، ليقول باسمًا:

_ أنتِ شبة نائمة يا عزيزتي، وحتى لو صرخت لن يسمعك أحد.

أجبت في خوف:

_ هل أنا في حلم؟

اقترب وهو يقول:

_ لا، إنه ليس بحلم ...

وقبل أن أسأله عما أمر به استطرد قائلاً:

_ ولست في واقع ... إنها قدرة أمتلكها لا يعلم بها أحدٌ حتى أبي، فأنا أستطيع التحكم بعقول الأشخاص في حالات الخمول والنوم، وهي ليست قدرتي الوحيدة فأنت رأيت إحداها في الصباح.

سألته بحذر:

_ وكيف أستطيع التحدث معك وأنا نائمة؟! وماذا تريد مني؟ ومن أنت؟!

جلس على حافة السرير وقال:

_ أسئلتك كثيرة، فلنبدأ بآخرها.. أنا بدر، أما عن قدرتك على الحديث فأنت لا تتحدثين، أنا بداخلك أسمع صوت عقلك وأفكارك، ولا أريد منك شيئاً حتى الآن ... فقط اكنمي سري.

قلت بحذر:

_ والإ؟!

قال وهو يتحرك نحو النافذة:

_ وإلا سأمحو ما شاهدتيه بنفسي وأنت نائمة.

قبل أن يقفز مغادراً قلت له:

_ هل تعلم أنك وقح؟

ابتسم وهو يقول:

_ علمت للتو.

فسألته محرجة:

_ هل ستعود مرة أخرى؟

لم يُجب لكني استيقظت وأنا أتصعب عرقاً لأجد زجاج نافذتي مفتوحاً، نظرتُ من خلالها لأجده يشير إليّ عبر نافذته، لا أعلم لماذا لم أبادله الإشارة، هل حقاً كنت خائفة أم لم أصدق الأمر وقتها؟!

في الصباح التالي شاهدت بدر يجلس على الرصيف المقابل لبيتنا، ترددتُ في البداية حتى غلبني فضولي، تحركتُ تجاهه وأنا لا أعلم كيف سأبدأ الحديث معه،

كان الأمر غريبًا، هل سأقول له أننا تحدثنا في حلم؟! علمتُ فداحة ما كنت مُقدمة عليه وعزمت على العودة مرة أخرى لولا أنه سبقني بقوله:

_مرحبًا... ألن نكمل حديث أمس؟

تحركت بعيداً عن البيت وتبعني هو حتى وصلنا إلى شارع جانبي، فسألته:

_ هل حقًا الأمر حقيقي؟

أجابني مبتسمًا:

_ لقد لاحظت مراقبتك لي، وبعد فترة اختفيت فقررت أن ألفت انتباهك، وعندما لم تلاحظني لم يكن أمامي حل آخر سوى حيلتي الأخيرة، كنت منبهرة بالأمر عندما شاهدتك من خلال أعين الطيور، وعندما نظرت لك ظهر الخوف والقلق على ملامحك، فلم أجد وسيلة أخرى غير تلك القدرة التي لا أعلم اسمها ولكنني أطلق عليها "الاتصال العقلي".

ابتسمت وأنا أقول:

_ هل اخترت الاسم لأنها تشبه اتصالات الفيديو؟

قال بلا اكتراث:

_ لا أعلم.

سألته مرة أخرى:

_ هل حقًا تعملون بالسحر؟

نظر لي ضاحكًا وهو يقول:

_ وهل السحر عملٌ حتى نعمل به؟

دخلنا إلى مقهى جانبي بعد إلحاح منه ورفض مني في البداية لكنه كان أفضل حالًا من السير في الطرقات، سألته بحذر:

_ لم أر والدتك حتى الآن ولا تربطكم أية علاقة بالجيران، هل هي منفصلة عن والدك؟

قال بحزن:

_ لا.. لقد ذهبت في رحلة بلا عودة إلى دار البقاء، قام أبي بترببتي بعد أن كتب الله له النجاة من حادث السيارة التي تعرّض لها.

حاولت أن أعتذر لكنني صمتُ حتى انتهيت من مشروبي، بعدها طلبت منه المغادرة فأصر على أن يعود معي غير متفهم لخوفي من رؤية أبي لنا معًا.. فجأة سمعنا الترانيم قادمة من مكان بعيد، كان وقعها خفيفًا ولطيفًا على الأذن وللمرة الأولى أمسك بدر بيدي وهو يقول بخوف:

_ اذهبي إلى منزلك الآن، ولا تفتحي نافذتك إلا عندما أخبرك بذلك.

كان خوفه مُعدياً؛ فتحركت ناحية المنزل بعدما سألته:

_ وكيف ستخبرني؟

قال بكلمات مرتجفة:

_ وقتها ستعلمين.

لا أعلم كيف وصلت إلى غرفتي بتلك السرعة، ربما جعلني الخوف لا أنتبه لخطواتي لكن أول ما فعلته كان التلصص من خلف النافذة لحيث كان يقف بدر، وجدته ينظر إلى الأرض بخوف كأنه يتلقى تقريراً أو لوماً من شخص غير مرئي، كان يرتجف مثل ورقة في الخريف، وبعد دقائق تحرك عانداً بظهره إلى البيت. ظلَّ الخوف ملازماً لي فتدثرتُ بأغظيتي وأخفيت وجهي مغمضة عيني، كان النومُ عصياً لكنه أتى بالنهاية، وهناك وجدته ينتظرني منادياً:

_ نور... نور.

كان الظلام دامساً فسألته:

_ أين أنت؟ لا أراك؟

قال:

_ أنا بعقلك.. والخوف بداخلنا هو ذلك الظلام المعتم، أرجوكِ اطمئني.

سألته والظلام ينقشع ببطء:

_ ما الذي حدث؟

قام بشيء غريب وهو يقول:

_ سأريك..

تغير ما حولي، كأني أمام شاشةٍ سينمائيةٍ أشاهد ما حدث من عينه هو، وجدت ثلاثة رجال ملتحين، خلفهم أكثرُ من ستين شخص بأعين حمراء مشقوفة من الأعلى كأنها لثعابين، وسمعتُ صوت بدر بداخلي يقول إنهم خدم الملتحين الثلاثة، وتلك الهيئة ليست هيئتهم الحقيقية وإن كانت أجمل ما يستطيعون التحول إليه. كان في حضرة أسيادهم قردٌ صغير تنزف الدماء من رقبتة ويرفع يده تجاه بدر كأنه يطلب الاستغاثة، بينما وقف أحد الملتحين أمام بدر وهو يقول:

_ لقد ارتكبت خطأً فادحاً يا فتى، ولولا أنك لا تعلم بالقوانين لعاقبناك بشدة..

لم يتكلم بدر فقد نظر وقتها إلى الأرض مرعوباً. لكن الرجل أكمل حديثه موبخاً وهو يقول:

_ ألم تخبر والدك بموعد التحاقك بنا حتى الآن؟

سألت بدر:

_ من هؤلاء؟

قال بتوتر:

_ سأخبرك... سأخبرك بالأمر كله يا نور.

بدأ الظلام يعود بسرعة مرة أخرى من حولنا؛ فعلمت أنه يشعر بخوفٍ شديد..

حرب

كنت أعلم قدر المخاطرة لكن لم يكن أمامي حلٌّ آخر، لم يخرج أحد من بين الروحانيين وعاد إليهم، كل من غادروهم ماتوا في أحداثٍ تظهر أمامنا قدريةً لكن الحقيقة أن مجلس الروحانيين لم ينس خروجهم.

لم أكمل شهرًا منذ خروجي من عالمهم حتى عدت إليهم طالبًا الانضمام مرة أخرى، فالقانون الذي وضعه الروحاني الأول منذ أكثر من ألف عام يسمح لمن خرج بعودةٍ وحيدة..

عبرت الممر المليء بالأشجار حتى وصلتُ أمام البوابة الفضية، ثمّ قمت بدق الباب سبع دقات بطيئة، كان القمرُ ساطعًا في السماء فأخذ كل شيء من حولي يتلألأ، لاحظتُ ارتجاف المخلوقات الضعيفة وحركتها المتوترة بين الحشائش كأنها تشعرُ بقدوم ظاهرةٍ غير طبيعية أو باقتراب الشر من عالمها الصغير، كنتُ أعلم أن أعضاء المجلس يعرفون بخبر قدومي إليهم. فتح قزم الباب وهو ينظر لي براهية لم يستطع إخفائها وقال:

_ تفضل ... إنهم ينتظرونك بالداخل.

قدم لي مشروبًا، كنت أعلم أنه سيفقدني تركيزي لكن لا خيارات هنا، هنا فقط قواعد ويجب اتباعها، تحركنا في ذلك البهو العملاق الذي رددت فيه ذات يوم قسَم الروحانيين، ثمّ هبطنا لمسافةٍ لا أعلم قدرها بفعل ذلك المشروب. حتى وصلنا إلى قاعة بها الروحانيون السبعة الكبار وخلفهم الخدام السبعة، انحنيتُ مقدمًا طاعتي على طلبي.

قال لي كبيرهم:

_ قف، وقل لماذا جئت إلى هنا مرة أخرى.

قلتُ متلهفًا:

_ أريد أن أعود روحانيًا مرةً أخرى.

ابتسم الرجل، ثم قال بخبث:

_ ولماذا تريد العودة؟!_

أنت تعلم أن الروحانيين لا يسمحون لأحد بأن يخرج منهم، وأنت خرجت وبكلّ
برودٍ عدت تطلب العودة؟!_

أن تكون روحانيًا، فهذا يعني أن تظلّ وفياً لقواعدنا إلى الأبد.
قلت بحذر:

_ لقد استخدمت القواعد عند خروجي ولم أخرقها أيضًا بطلب عودتي.

عمّت لحظةً من الصمت أردفت بعدها قائلًا:

_ وأيضًا أريدُ عودة خادمي.

قام كبيرهم من مجلسه غاضبًا وهو يقول:

_ أنت لست في موقفٍ يسمحُ لك بالبقاء الأوامر، ما الأمر الذي جعلك تريد العودة
بهذا الإصرار بعد أن غادرتنا منذ شهر فقط يا حرب؟

ثم أكمل قائلًا بسخرية:

_ من المحزن أنك لم تتحمل لأكثر من شهرٍ واحد فقط.

ابتلعتُ لعابي شاعرًا لأول مره بالخوف يتسلل إلى قلبي وأنا أقول:

_ قانون الروحانيين يسمح لي بالعودة مرةً أخرى، وأظنُّ أن الروحاني الأكبر لن
يُخالف قانون مجلسه.

نظر من المجلس لبعضهم في توتر، ولكن كبيرهم قطع لحظات الصمت بقوله:

_ القانون يقول أيضًا إنَّ الطريقة الوحيدة لعودتك هي النزال، وبصفتي قائدُ
الروحانيين الأكبر فأنا سأختار..

صمت للحظات وهو ينظر للرجال من حوله كأنه يحذرهم من رفض ما سيقوله،
ثم التفّت لي بتحدٍ قائلًا:

_ أن تنازل فردًا من كل قبيلة..

ثم أكمل حديثه سائلًا إيّاهم:

_ هل توافقون على الاقتراح؟

كان يجب أن يحصد قراره موافقة ثلاثة أصوات مع صوته لكنه حصد خمسة
أصوات كاملة، فقط قائد القبيلة التي أنتمي إليها هو من تحاشى التصويت.

قال كبيرهم في زهو:

_ لقد عدت الآن ونزالك سيكون مع روحاني من كل قبيلة عدا قبيلتك، سيبدأ عندما يكتمل القمر بالطريقة التي سأحددها أنا.

ثمَّ أشار لي بالخروج، وقبل أن أغير القاعة قال:

_ انتظر... سيضم النزالُ خادمك.

ثمَّ أشار بيده لتظهر في المسافة الفاصلة بيننا دائرة صغيرة من الدخان الأسود، خرج منها خادمي الذي كان مسلسلاً بسلاسل لها أطراف من نار تثبته من أطرافه وعنقه على الأرض، ورغم ذلك قال لي بصلاية:

_ مرحبا بعودتك سيدي (حرب).

وكانَ هذا إعلان بداية المواجهة الحقيقي..

يظن العامة أن السحرة أو من اقتربوا من عالم الما ورائيات لا يخشون الجن والكانات الأخرى.. لكن الحقيقة أن هناك نوعان من الخوف: خوف الجاهل وهو الأكثر خطورة، وخوف العالم وهو الأكثر أثرًا في القلوب...

لم أكن أخشى مواجهة أي بشري في النزال لكن خوفي كان لجهلي بمن سأواجهه وكيفية المواجهة، وهل تشمل تلك المواجهة خادم كل من سأنازله أم كلا منا بمفرده، لم يكن أمامي سوى الذهاب إلى صديقي الوحيد (أبكم) الذي استمرت علاقتي به بعدما انقطعت صلتي بعالم الروحانيين؛ لذا لم يكن الوصول إليه صعبًا، ورغم أنني أجيد الانتقال بشتى أنواعه - ولم أفقد يومًا جزءًا من جسدي أو أطرافي كما يحدث مع المبتدئين من السحرة، فدائمًا ما كنت أحتفظ بشيء حي في جيبى دافعًا ثمن الانتقال من روحه - إلا أنني تحركت تلك المرة صاعدًا الطريق إلى ذلك الجبل الذي يذهب إليه في خلوته..

الأتين الضعيف الصادر من الأشجار على الجانبين كان ينبئني أنها أشجار متحولة وأنَّ قدوم الليل سيجعلني فريسة سهلة لها، أعلم لماذا اختار مكانًا يكتنفه الضباب على مر العام. شككتُ أنني سأقوم بتعويذة الانتقال عندما سمعت زمجرة مبجوحة من إحدى الشجيرات الصغيرة، وعلمتُ أنها من نوع الوعيد، لقد اختار أبكم المكان المناسب الذي يؤمن له ابتعاد العامة عنه وقت خلوته..

وتعجبتُ عندما شاهدت المنزل من بعيد، إنَّ أبكم هذا لا يكفُّ عن إثارة إعجابي، لا بدَّ أن أحد خدامه أو الجن السيار أخبروه أنني قادم فقد ترك الباب مفتوحًا، دلفتُ إلى المنزل لتقابلني صالة بأثاث بسيط بها لمسة من العصرية وكثير من الأرفف والمكاتب المليئة بالكتب القديمة. ناديتُ عليه لكنه لم يجب؛ فتحركت إلى الداخل باحثًا عنه في الغرف حتى وجدته يقوم بخلط بعض العقاقير ولكنه لم يرحب بي، فقط قال من بعيد:

_ أهلاً حرب، لقد عدت لعالمنا بكارثة جديدة تشبه اسمك.

لم تتغير ملامح أبكم كثيرًا، ذو أعين عسلية تزينها عوينات تزيد من جاذبيته وأناقته، شعر ناعم مصفف بعناية وبشرة قمحية تميل إلى البياض، وجسد ممشوق جعله مثارًا إعجاب الكثير من نساء الروحانيين وإن حاول الرجال السخرية من ممارسته للرياضة لكنه كان يقابلها بتجاهل.

قلت له بهدوءٍ مصطنع:

_ هل كان هناك طريق آخر يا صديقي؟!_

لقد دفعوني نحو الموت؛ فاخترتُ حياتي وإن كان الثمنُ موتَ الآخرين فسيدفعونه.

بعد نصف دقيقة انتهى من خلط مواده، ثم قام لاحتضاني مُرحبًا كأنه لم يتجاهلني منذ دقائق، وقال بعدها:

_ ولماذا جئت إلي؟ لا تخبرني أنك جئت لتودع صديقك الوحيد؟

ابتسمت لدُعابته السمجة وأنا أقول:

_ بل جئت لأني أعلم أنك الوحيد الذي سيستطيع نصحي ويكثرث لأمرِي.

دار حول الكرسي الذي جلستُ عليه، ثم استند على كتفي وهو يهمس بأذني قائلاً:

_ إن نسبة نجاتك تقترب من الصفر، ورغم ذلك يسعدني أن أخبرك أنك ستحارب روحانيًا واحدًا في جولتك الأولى ثم اثنين ثم ثلاثة.. هذا إن بقيت حيًا.

سألته مستفهمًا:

_ وحدثهم أم..

قال ساخرًا:

_ وهل مثلك يأتي بحرب عادية، أنت الحرب نفسها يا حرب، بل سيكون مع كل منهم خادمه، ولسوء حظك في الجولة الأخيرة هناك اثنان منهم أبناء ملوك قبائل، ولكن ليس هذا فقط ما جعل نسبك تقترب من الصفر.

كانت كل أخباره سيئة، لم أتوقع أن ينظر رئيس المجلس للتحدي بطريقة شخصية لدرجة أن يغامر بروحانيين يتحكم أبائهم في قبائل كاملة، فإن فزت أصبحت قبائلهم مطالبة بالتأثر.. لكن لم يعد هناك سبيل للعودة؛ فالقانون يسمح بالعودة والمغادرة لمرّة واحدة فقط وبعدها يصبح دمك مهدرًا، وقد استنفدت الاثنتين..

وأكمل حديثه قائلاً:

_ أتريد أن تعلم ألقابهم السحرية.

أومأت برأسي موافقًا.

_ ظلام ورعد ونورسين و.

ابتسمت بعدما قال الاسم الثالث.. لكنه قاطع ابتسامتي:

_ هؤلاء هم أصحاب أول جولتين، وإن كنتُ أشك أنك ستفوز على نورسين التي ضحكت ساخرًا عند سماع اسمها؛ فالأول من قبيلة هاروت وماروت، والثاني من قبيلة الروحاني الأول، أما الأخيرة فمن قبيلة السحر الأسود.. هل تريد أية معلومات عن القبائل؟

قلت له:

_ أعلم ما يكفي.

قال بتجاهل وهو يبتعد:

_ لا بأس، ثالث كتاب في الرف الثاني بالمكتبة التي على يمين الباب، ستجدُ مقدمة عن نشأة الروحانيين وسبعة فصول عن مؤسس كل قبيلة.

أمسكت بالكتاب وبدأت في القراءة

(لو بسطت عجائب الدنيا لوجدت في مصر ما هو أشد منه وأعجب، ولأن سحر كهنة كيمت هو الأقوى والأكثر خلودًا كان بداية تاريخ الروحانيين من هناك، وبعدها اشتدت وطأة الحياة وأصبح قتل السحرة عادة بأوروبا الوسطى أرسل الروحاني الأكبر أحد أحفاد كيمت إلى ستة منهم، ليبدأ معهم تاريخًا جديدًا من السحر، ويتم اختيار الساحر القوي على أساس الهبة أو المنحة التي يملكها ليكون من الروحانيين، أما من لم يملك هبةً سواء بالتعلم أو بالفطرة فيظل من السحرة الأدنى، وعلى باب تلك الواحة الخفية وضع الروحاني الأول وشمه، بعدها تمت كتابة القوانين...)

أي روحاني جديد يعلم تلك المعلومات؛ لذا قمت بالوثب بين الصفحات لعلي أجد بينها طوق نجاة.

(مرحبا بك في يوم عطائك الأول، تذكر أن هذا الطريق بلا عودة وألا أخذ بدون عطاء، ستجد أسبوعك القادم دومًا.. لكن تذكر إن لم تقدم العطاء ستجدهم أمام بيتك، فوق سريرك، بداخل جلدك، وقتها سيأخذون الروح التي تمتلكها.)

أتذكر تلك الكلمات رغم مرور منتي عام على سماعي لها للمرة الأولى، يظنُّ البشر أن وجودنا أسطوري رغم أخطاء بعضنا ورؤيتهم لصورهم عبر التاريخ، لقد أصبح الأمر أكثر صعوبة في هذا العصر بوجود الوثائق الرسمية، على أية حال نادرون هم من وصلوا للعهد، كما أنه يعود بالنفع على كل من وصل إليه وإلا أصبحت البشرية نفسها في الطريق للانقراض..

أقف أمام ذلك البيت للمرة الثانية، كانت مواجهتي مع ذلك المسن حديث أهل الشارع لفترة ليست بالقصيرة، لم أكن أعلم أنه من تلك الجماعة البغيضة التي

تسمى نفسها “الروحانيين” لكن لم يكن أمامي أي سبيل للرفض ولم نعلم سببا لاختياره في الأيام الأخيرة لأفراد تلك الجماعة؛ لكننا نعلم سئلت واحدا إن اختار (الغريب) ضحيته يجب أن أقدمها له، هذا يحدث نادراً لكن الإشارات تكون واضحة، فعندما أرى علامة التنين الأحمر الناري وقتها يجب أن أقدم له الضحية التي طلبها وإلا ستنتهي حياتي بطريقةٍ مريعة.

كنت قد سمعت عن طريقته في قتل المتأخرين والمتعثرين إلى أن عايشتها إلى جانب صديق لي تعرفت عليه عبر السنين، لم يستطع أن يقدم له من اختاره فقرر أن يختار ضحية أخرى لأن (الغريب) اختار تلك المرة مسنولاً كبيراً في الدولة، وفزع صديقي خشية أن يؤدي ذلك لمقتله، ولسوء حظي كنت هناك عندما انتهى يوم عطائه، ارتفع جسده بلا مقدمات معلقاً في الهواء وجلده يُنزع عنه ببطء بدون أن أرى من يفعل به ذلك، ثم بدأ الكيان الخفي بتقطيع لحم أطرافه العارية ببطء أشد... كنت أرى قطع اللحم تتساقط على الأرض، ثم سقطت مغشياً علي، لأصحو بعدها وإذ بعظامه مهشمة، الدماء تلتطخها، لحم جسده متناثر في كل أرجاء الغرفة، ومن يومها لم أفكر بتأخير يوم عطائي، كنت شبه خالد لكني مثل البطل الأسطوري سيزيف، يجب أن أحمل الصخرة مراراً وتكراراً، لا أحد يعلم السر، ولقد قرأت مئات من كتب السحر والتراث النادرة لكني لم أجد إشارة لصاحب العطاء، حتى الكتب تتحدث عنه بصيغة الإشارة:

_ (الغريب) ينتظر عطاءك..

_ إنه هناك وحولك فلا تتأخر..

_ يجب أن تقدم (له) من اختاره..

بحثت كثيراً حتى مللت الأمر، في النهاية يقولون إن أتباعه يحقنوننا بأكسير عند نومنا والبعض يقول إن ما نحن فيه لعنة، الحقيقة أنني لم أهتم لحديثهم بقدر اهتمامي بظهور شعرات بيضاء على جانبي رأسي، أظن أنه حتى إن طال الأمر فالنهاية قادمة على أي حال، ربما بعد منتي عام أخرى أو أكثر، تبقت عشر ساعات كاملة حتى انتهاء أسبوع العطاء، وها أنا ذا أجلس أمام ذلك البيت لكي أقتل (بدر) حتى أمتلك بدرًا جديدًا.

جاسر

على الرغم من أن قرار إهدار دمي أصبح الأشهر في العقد الأخير إلا إنني لم أخطر باستخدام سحر التشكيل واكتفيت بحلاقة رأسي وإطلاق لحياتي في حيلة من أرخص الحيل التنكرية، أصبحت ألوذ بكهف في عمق تلك البلدة النائية، تأكدت من خلوه من شياطينهم وخدامهم، وقمت بعمل سحر التقييد لقريني حتى لا يصل لي أحدهم عن طريقه، ومع ذلك لم أستطع منع الجزع عن طرق أبواب

صدرني، كنت أعلم أنهم مشغولون بتجهيز حفل اختبارات الروحانيين الجدد؛ لذلك تحركت خارجاً من ذلك الكهف محاولاً نسيان شعور الخوف حتى لا أسقط أسيراً له مع مرور الوقت، لم يكن اختياري لتلك البلدة عشوائياً، فقد مررت بها في الماضي ولاحظت قلة سكانها وندرة الشياطين بها. كانت في الأمر مخاطرة فأني غريب سيلحظون وجوده سيلفت الانتباه؛ لذلك كنت أتجول بالأتحاء مرة أو مرتين كل شهر ليعتادوا رؤيتي.

في اليوم الثالث من هروبي علمت أن اسمي أصبح متبوعاً بلقب “الملعون” ومع مرور الوقت تضاعفت جائزة القبض علي حتى أنها وصلت لتحرير الخدام وترقيتهم إذا جاء أحدهم بخبر عني، أما عن الروحانيين فأخر ما علمته أن الجائزة أصبحت أحد الخواتم السبعة الكبرى ولم يعلنوا عن نوعها، وهناك إشاعة تقول إن هناك طلسمًا استحوذ على زعيم قبيلة كبيرة من قبائل الجن في حالة القدوم برأسي، أثار هذا البند من المكافأة سخط بعض القبائل لكن لكون اسم القبيلة خفياً وكونها إشاعة غير مؤكدة؛ فلم تتخذ أي منهم بخطوة أو مخاطرة تجعلهم يخاطرون بدخول حرب سيكونون هم جنودها وضحاياها، لعلمهم أن الروحانيين يعلمون أكثر من غيرهم بأسرار الحروف...

على أطراف القرية صادقت مزارعاً من قاطنيها، ما إن لمحني أشار لي بأن أذهب نحوه، وعندما اقتربت باغتني قائلاً:

— ستعد زوجتي اللحم في المساء، وسيكون معنا ولدي وصديقه، ولن أقبل رفضك المتكرر يا سيد جاسر..

ابتسمت مفكراً فأنا في الحقيقة أفتقد تبادل الحديث مع شخص آخر بعدما طالت مدة عزلي لما يقارب سنة كاملة، فأومات برأسي موافقاً وأنا أقول له:

— يشرفني ذلك يا عم حمدان.

أعطاني كوباً من الحليب الطازج بعد أن أقسم على أنني لن أدفع ثمنه تلك المرة.. سرت بين المروج الخضراء في البلدة حتى ابتعدت وعدت إلى الكهف، استلقيت في زاويته نائماً ولم أستيقظ إلا مع اقتراب غروب الشمس، كان نومي عميقاً تلك المرة، بدلت ملابسي وسرت عائداً إلى القرية بخطوات متسارعة حتى أصل إليهم بعد صلاة العشاء.

وجدت حمدان يقف أمام البيت منتظراً، صافحني مرحباً بحرارة وأدخلني بعدها إلى غرفة استقبال ريفية الطراز أشعرتني بالدفع، كان هناك شابان لم يصلا لبداية العشرينات، محمد ابن حمدان وهو شاب هادئ الملامح، يحمل قدراً وفيراً من ثبات والده، وياسر صديق محمد، من مدينة ساحلية، ذو نظرات مآكرة تنم عن ذكاء متقد، علمت بعد ذلك أنهما يدرسان خارج البلدة بإحدى الكليات. في البداية كان الخجل يسيطر على الجلسة إلا إن ياسر بجرأته وروحه المرحة أنهى ذلك سريعاً، لم أهتم بحديثهما قدر اهتمامي بالطعام، لأنني كنت أتضور جوعاً، ومفتقداً الأكل المطبوخ طوال الفترة الماضية، ولأن حديثهما كان أهوجاً، يحاول

كل منهما إثبات أنه صاحب أكثر عقل راجح؛ لذلك لم ألحظ كيف حرّك ياسر الحديث إلى عالم الماورائيات، شعرت في البداية بالتوتر خشية أن يقول أحدهما طلسمًا أو شيئًا غيبًا يجذب انتباه أحد الكائنات إلى مجلسنا البريء لكن سرعان ما تبدد خوفاً بسبب معلوماتهم السطحية والمثيرة للضحك.

شردتُ مفكرًا في ردة فعلهم إذا علموا أنني كنت روحانيًا وأني مطارّد من عالم السحرة الكبار ، غالبًا سيسقط حمدان مغشيًا عليه وسيطلق الشابان وبالاً من الأسئلة المتوجسة الفضولية، ولكن سرعان ما استرعى اهتمامي حديث ياسر عن موضوع غريب لا يعلمه الكثيرون حتى في عالم الروحانيين؛ لأن صاحبه من الأشخاص الذين لا يُحسبون على السحرة الصغار ، ولم ينضم للروحانيين بل يُحسب من ذلك القسم الذي نطلق عليه (الأحرار) والبعض يطلقون عليهم لقب (الغرباء) فلا هم من الروحانيين، ولا هم من سحرة العامة، بل هم في خط آخر يخشى كل منا التقابل.

إذ قال ضاحكًا:

_ لي صديقٌ قصّ على قصة مضحكة، أعلم أنه كاذبٌ لكن إيمانه بها أغرب من الخيال، يقول إن أخاه يمتلكُ مطعمًا يحضر لك الطعام الذي تريده بمجرد أن تكتبه، فقلت له مسأيرًا: حتى لو طلبت لحم كبد الحوت سيحضره. فأجابني قائلاً بثقة: حتى لو كان عقل شيطان سيحضره لك، لكن لكل وجبة ضريبة، فربما تتصرف بأفعالك كأن بداخلك شيطان رجيم، واستطرد أيضًا أنه عانى من ضريبة دخوله هناك في صغره..

لاحظ الشاب اهتمامي بتلك القصة لكنه لم يقل أي جديد، فسألته:

_ وأين يقع هذا المطعم؟

نظروا جميعًا إلى بعضهم البعض، ثم انفجروا ضاحكين إلى أن وبخهم عم حمدان وهو يحاول كتم ضحكاته، فقال ياسر:

_ أي مكان هذا الذي تسأل عنه!

إنه مجرد حديث خيالي اختلقه بالتأكيد ليثير إعجابي..

لا أعلم أين ذهب حذري وأنا أسأله في فضول:

_ ألم يُخبرك بشيءٍ آخر؟

ابتسما بدافع احترام نظرات حمدان المستهجنة لهما، وأجابني قائلاً:

_ فقط هذا ما قاله.

قليلٌ من الروحانيين يعلمون أنّ المطعم قام بتغيير صاحبه منذ عقد أو أكثر.. لكن لم يستطع أحد معرفة مكانه، ولم يحاول أحدنا ذلك؛ فبعض الأماكن تملك سحرًا أقوى من الأشخاص، وذلك المطعم كانت قوته تزداد وقدراته على إخفائها أيضًا..

في نهاية الحديث اعتذر حمدان - عن سخريّة الشابين مني- قائلاً:

__ أنت تعلم رعونة الشباب في ذلك السن، وياسر هذا أكثر أصدقاء ابني رعونة، إنه يزورنا مرّة كل عام منذ التحق ابني بالجامعة، وأقسم لك أنه ولد مؤدب جدًّا لكن حماس الشباب يطغى عليه..

ابتسمت لحمدان وأنا أقول مودعًا:

__ بالعكس، لقد كان حديثًا ممتعًا.

انشغلتُ بالتفكير في تلك الأسطورة التي سمعت عنها وعن صاحبها، وتذكرت أن صديقًا قديمًا أخبرني بخشية المجلس من مواجهة أصحاب الأماكن لأن قواهم غير متوقعة ويواجهون عوالم أكبر تختلف كثيرًا عن العوالم التي نعرفها، لاحظتُ تعقب شخص أو كيان غريب لي وأنا على مشارف الكهف، ظننت أنه ابن حمدان أو صديقه لكن في النهاية علمت ما هو؛ لأطلق بعدها تعويذة الربط ليقع أمامي بلا حراك. كان نوعًا نادرًا من الجن اشتهر بالبحث عن المفقودات، تُعرف قبيلته بقبيلة الجن الأزرق، صرخ حتى خشيت أن يصل صوت صراخه إلى بيوت البشر فألقيتُ تعويذة أخرى كتمت صوته وأنا أعلم أن وقتي هنا أصبح محدودًا، وإن كانت تلك التعاويذ ليست بالنادرة ونشاطها غير ملفت لكن مسار حركته سيكون معلومًا عن طريق جن المنازل أو الجن السيّار وسيبحثون عنه، هذا إن كان قد جاء وحده، ووقتها سيجدونني.

حاولتُ أن أقوم بتسخيره لكنه كان يعلم أنني لا أستطيع ولا أملك الوقت، وأني فقدتُ مرغماً قدرتي على إلقاء أيّة تعاويذ بها أسماء ملوك، ولا أملك حتى خادمًا واحدًا أرهبه بقدرته؛ لذلك قال بابتهاج:

__ قبل أن تمر الليلة سأصبح قائدًا في قبيلتي، أما أنت وقرينك هذا ستصبحان في عداد الموتى.

لاحظتُ أنني كنت سأنسى قريني، أكثر كائن يستطيعون الوصول لي بسهولة عن طريقه وبسرعة أكبر من قدرات الجن الأزرق، فعلاقتنا مثل شخص وظله، قلت لقريني قبل أن أفك طلسم التقيد:

__ لقد سمعت ما قاله، إما أن تكون معي أو سأتركك في قيدك..

قال اللعين:

__ لا تستطيع تركي فأنت تعلم خطري عليك، وأني سأعثر عليك بدون تعويذات أو تعب.

قلت له:

__ لكن يمكنني نقلك وسجنك مرة أخرى حتى نهاية حياتك.

لم يعرني انتباهًا. كان يعلمُ خطورة موقفي، وكنت أخشى شره فأنا من أكثر الناس علمًا بشر القرناء، ومع ذلك كانت خياراتي المتاحة قليلة فيجب أن أذهب لمكان آخر وحدي ولا أستطيع في نفس الوقت تركه، اتخذت قرار المخاطرة وقمت بتحريره، ولدقيقةٍ أو اثنتين شعرت بجسدي كله مشلولًا، فقد كان يقبع فوق صدري والصرخات المرعبة تتردد بداخل أذني، شاهدت الشياطين تمر أمام عيني، يصرخون في وجهي ثم يضحكون بجنون... كان أبي معهم يضحك في تشفٍ وتلذذٍ وأمي تبتسم في مجون، أغضت عيني لدقيقةٍ أخرى، ثم اختفى كل هذا لأرى زوجتي تصرخ من بين النيران قائلة:

_ أنت السبب، أنت من تسبب في موتي، أكرهك.. أكرهك.

وجدته يقف أمامي منتصبًا وهو يقول:

_ في المرة القادمة لن أسمح لك بأن ترى الحياة مرة أخرى، وستعيش في كوابيس ألعن من الذي رأيته الآن حتى تجن، ولن تعلم وقتها هل ما تمر به حقيقة أم إن هو اجسي تتلاعب بعقلك..

كنت أعلم أنه لا يهدد بل يحذر فقط ثم سينفذ لذلك، قلت مُقدمًا له دفعة القيادة:

_ إذا، ماذا سنفعل الآن؟

قال في هدوء وهو يشير إلى الجني الأزرق:

_ سأقتل ذلك الجني، ثم سنبحثُ عن مكانٍ آخر.

قلت له:

_ هناك أمر أخير سأقوم به وحدي، وأنت تعلم كيف تصل لي.

أشار لي بيده أن أنصرف متخذًا دور القائد، هذا اللعين كان يخشى الظهور أمامي أما الآن فهو يعلم أنني لا أستطيع استخدام قواي الروحانية والسحرية؛ لذلك تجاهلت إشارته وتحركت إلى بيت حمدان من جديد.

استيقظ الشاب شاعرًا بالفزع عندما وجدني أمامه، حاول الصراخ منبهًا صديقه لكنه كان غارقًا في النوم بفضل إحدى الهبات التي كان لها فضلٌ في دخولي إلى عالم الروحانيين، فقلت له بصوتٍ منخفض:

_ هل تستطيع أن تعرفني على صديقك صاحب المطعم؟

كان يرتجف لكنه رغم ذلك كان يملك حماس وشجاعة الشباب الطائش؛

لذلك قال في حسم:

_ يمكنك قتلي لكنني لن أسمح لك بأن تؤذي صديقًا لي.

في ظروف أخرى كان بإمكانني إجباره على قول كل شيء بطريقة خبيثة وصديقه
النائم كان هدفاً سهلاً.. لكنني لم أكن أملك رفاهية الوقت؛ لذلك قمت بملامسة
رأسه باحثاً عن المعلومة، في الأوقات العادية كنت سأعلمها في أقل من خمس
دقائق لكن لأنه كان متحفزاً ورفضاً للأمر فقد علمتُ بها بعد ربع ساعة كاملة.
عيناه الزائغتان كانتا تنبئان بخطورة ما حدث لخلايا مخه تحت تأثير الاستجواب
العقلي، ورغم ذلك قال بوهنٍ جعلني أعلم أنه يدرك ما حدث وما يدور حوله:

_ ما الذي فعلته بي؟

قلتُ في خبث:

_ يمكنني إخبار صديقك النائم بعلاقتك بأخته وبتلك القبلات في حقل الذرة، أو
يمكنك أن تنسى وجودي هنا تماماً، وللعلم لو كنتُ أملك الوقت لجعلتك تنسى كل
هذا..

خرجت بعدها مبتعداً عن المنزل بعدما أخذت منه عهداً بالكتمان، وللمرة الأولى
منذ ما يقارب عامًا كاملاً أستخدم تعويذة الانتقال وأنا أعلم أن تعقبي ومواجهتي
الأخيرة مع الروحانيين أصبحت مسألة وقتٍ لا أكثر.

بدر

كانت نور أول من تعرفت عليه عند انتقالنا إلى هذا المكان، لاحظتُ تتبعها لي ثم
سرعان ما انشغلت في شيء آخر لكنني لم أكف عن متابعتها، كانت صغيرة ذات
أعين متمردة، ترتدي ملابس ذكورية، يتحرك أنفها الصغير لأعلى عندما تتعجب،
لم أتردد في قص ما حدث معي لها، كنت قريباً منها لوقتٍ طويلٍ لا تعلم عنه
شيئاً..

قطعت سيل ذكرياتي أصوات بعيدة وهادئة، لم أنتبه إليها في بداية الأمر إلا أنها
مع الوقت ازدادت وضوحاً، كنتُ أظن ذلك وهمّاً أو خيالاً صنعه عقلي، وربما هذا
ما حاول والدي إقناعي به لكن نظراته يومها كانت قلقة أكثر مني..

قال صوت رجولي لم أستطع رؤية صاحبه:

_ إنه يتحكم في الطيور والحيوانات، إنه روحاني أباً عن جد.

ثم تبعه صوت أنثوي من بعيد:

_ أظن أن هبته ستكون معرفة تاريخ الأشياء عن طريق لمسها.

بعد ذلك لم يكتفيا بالهمس إذ رأيتهما أمامي، كان الأمر مفاجئاً لكلينا، شعرتُ
بالرعب وقتها، رجلٌ طويل ملتجٍ وامرأة حسناء جسدها مليء بالوشوم كانا
يراقباني باهتمام، ولم يعلما برويتي لهما حتى صرخت ليقتربا مني في توجس،
سألتهما برعبٍ واضح:

_ من أنتما؟

تراجعا للخلف عندما دلف أبي إلى الغرفة؛ فأشرت إليهما قائلاً:

_ أبي، إنهما أصحاب الهمسات في الليل التي أخبرتك عنها.

احتضن جسدي وحاول تهدئتي وهو يخبرني أن تلك خيالات وأوهام، تكرر الأمر
بنهاية الأسبوع فعلت أنهما من الكشافة ومهمتهما فقط اكتشاف أصحاب
الهبّات، بعد ذلك ظهر لي صاحب الحشد الذي يتبعه أصحاب الأعين المشقوقة،
وأمرني أن أخبر أبي باختبارات للروحانيين، وأخبرني أنه سيفهم القصد لأن
والده وأخيه كانا منهم، شعرت بالخوف ولم أخبره حتى الآن، لم أجد سوى نور
لأشاركها بذلك..

سألتني مقاطعة:

_ من هم الروحانيون؟ وما هي تلك الاختبارات؟

أجبتها والظلام يزداد بداخل حديثنا:

_ لا أعلم، ولكن صاحب الحشد أخبرني أن بإمكانني زيارة أبي كلما تقدمت في
الأمر..

لم أستطع أن أنهى حديثنا بعدما شعرت بوجود أحدهم؛ لذلك أنهيت الاتصال بين
عقولنا فجأة ولم تمر دقيقة حتى وجدته أمامي، رجل في منتصف الثلاثينيات،
عيناه زائغان وشعر أبيض يملأ وجنتيه.

قال بابتسامة مأكرة:

_ مرحباً.

وأخرج سكيناً من حزامه وهو يستطرد:

_ عذراً، أحتاج إلى قلبك فقط أيها الصغير.

لم أكن أعلم إلى أين سأذهب، حاولت الركض باتجاه باب غرفتي لكنه توقع ردة
فعلي؛ فأمسكني كاتمًا أنفاسي لأتصّبب عرقاً من شدة رعبتي، وسرعان ما خف
ضغط يده عن فمي، حاولت أن أصرخ لأجد صاحب الحشد أمامي ومن خلفه تلك
الأعين الحمراء المشقوقة التي لم تكف مرة عن إرهابي، لاحظ خوفي فقال بنبرة
مطمئنة:

_ هل تخشاهم؟

أومأت برأسي إيجاباً وأنا أقول:

_ أعينهم تخيفني.

فأشار إليهم بأن يستديروا وليته لم يفعل، كانت الذبول الملتوية تنبت من
ظهورهم كأذيال الخنازير، ينمو منها شعر أسود، زادتهم بشاعة وزادتني رعباً

ورهبة.

بادرني بالحديث قائلاً:

_ غداً سنأتي لأخذك، أخبر والدك أنك أصبحت من الروحانيين.

لم يترك لي أية فرصة للرد إذ اختفى كما ظهر حاملاً معه جثة ذلك الغريب، كنت أرتجف مثل ورقة في مهب الريح، أثناء ذلك دلف أبي إلى الغرفة فركضت إليه باكياً وأنا أتلعثم بالحديث:

_ لقد أخبروني أن أقول لك إنهم سيأتون لأخذي في الغد.

سألني وهو يتحاشى النظر إلي:

_ من هم؟

قلت؟

_ الروحانيون.

احتضنني وهو يحاول أن يكتم دموعه عني؛ لأسأله مستفسراً:

_ من هم الروحانيون يا أبي؟

قال:

_ قوم انتمي لهم جدك وعمك، ولقد تمنيت أن تعيش حياة طبيعية بعيداً عنهم لكنني كنت أدرك مع الوقت ومع رؤيتي لهباتك ألا مفر من الأمر.

قلت له:

_ إذا لا تسمح لهم بأخذي.

لكنه أجاب باستسلام واضح:

_ لا أستطيع، لا أحد يستطيع، وستلومني إن لم تنتمي إليهم، ولأصدقك القول فقد كنت أتمنى أن أكون مثل عمك وجدك لكنني ولدت بلا هبة، ولم أتمكن من امتلاكها رغم محاولات جدك المضنية في تدريبي..

ذهبت إلى فراشي باكياً، لم أشعر بما حولي حتى استيقظت في الصباح لأجدهم أمامي، تظاهرت بتحضير ملابسني محاولاً تأخير الأمر لكنه قال في حزم:

_ لن تحتاج لها، يجب أن ترمي ماضيك خلفك.

كانت نور تقف في النافذة وأشارت لي لكنني خشيت عليها فلم أرد السلام ونظرت للأرض متحاشياً النظر صوبها، كنت أعلم أنها لا تراهم، ربما ستحکم عليّ بالإدانة لأني تركتها دون أن أخبرها أو حتى أودعها، إن الخيوط التي ربطت بيني وبينها على قدر قوتها في قلبي أظنها واهية في قلبها، لا أحد يستطيع الحكم على

علاقة بنظرة كاملة، حتى من مرًا بها؛ فالحب على بساطته إلا إن شرحه معقدًا جدًا، لن تعلمي مقدار افتقادي لك يا نور.

هزرت رأسي يمنا ويسارًا في محاولة لتغيير أفكاري، ثم تحركت مع السيارة في رحلة إلى تلك الواحة، وما حدث هناك كان غريبًا ومثيرًا إلى أقصى حد.

كان من الصعب إخماد الثورة التي بعقلي، عشرات الأسئلة تجتاح كياني ولا أستطيع السيطرة عليها، خفف من التوتر اختفاء الحشد ووجودي أنا وقائد الحشد في تلك السيارة، سألته في توتر:

_ ما اسمك يا سيدي؟

قال بابتسامة ظننتها لن تولد على شفثيه:

_ فجر، اسمي فجر.

رغم أن اسمي لم يكن منتشرًا هو الآخر لكنني تعجبت من اسمه، كان الضباب يخيم على الطريق أمامنا إلا إن السائق كان يقود بسرعة كبيرة؛ لذلك سألت مرة ثانية:

_ إلى أين نحن ذاهبون؟ ومن هم الروحانيون؟

أجابني تلك المرة بنفاد صبر حاول من خلاله وأد أسئلتي:

_ ذاهبون إلى تلك الواحة التي ولد بها علمُ الروحانيين، أمّا الروحاني فتلك إجابة معقدة، فلكل قبيلة منا أفكارها.. لكن الإجابة التي تعلمتها أن الروحانيين هم من يرون ما يخفى عن الأعين ويمتلكون هبة نادرة، ويجيدون السحر بأنواعه أو يتعلمونه بسهولة، ولكل روحاني عهدٌ مع واحد من الجن لذلك لا نؤذيهم ولا يؤذوننا.

انتبهت حواسي عندما قال الجملة الأخيرة ولم أتمالك نفسي؛ لذلك سألته مرة ثالثة:

_ هل يكون صديقًا له؟

قال بعد أن رمقني بنظرة حادة:

_ بل يكونان إخوة.

كانت الأسئلة تتراكم بداخلي لكنه قال بحسم:

_ ولا أريد أسئلة أخرى حتى الوصول.

ابتسمت محرّجًا وجال بخاطري مشاركة كل تلك الأشياء مع نور لكنني خشيت أن يعلم بالأمر، ولم أشعر بشيء بعدها حتى وصولنا، لا أعلم كيف استغرقت في النوم حتى حلول الليل.. كانت الواحة كبيرة عكس ما توقعت وملينة بالأشجار

كأنها نبتت على مسار نهر، وبها بعض الرجال الكبار ومراهقون في نفس عمري أو أصغر، ترجلت من السيارة فتلقفتني يدا امرأة في نهاية شبابها حتى وصلت إلى حمام يخرج من بين جدرانه دخان ساخن وقالت لي:

_ ستجد ملايسك عند خروجك.

كان إحساس المياه فوق جسدي منعشاً، وتمنيت أن تطول تلك اللحظات وأنا أفكر من أين لهم بكل هذه المياه في تلك الصحراء القاحلة.

خرجت لأجد زياً عربياً قديماً وقلنسوة وحذاء، قمت بارتدائهم محرّجاً لأنضم للبقية وأجد بجواري صفاً من المراهقين والمراهقات، سألت من يجاورني:

_ من أنت؟ وماذا سيفعلون معنا؟

كان مراهقاً يكبرني بعامين، أطلق سبة حقيرة ثم قال: فلتصمت أيها الأبله فبعد دقائق سنتلو العهد..

لم نكن نرتدي زياً موحداً، كان الزي الأكثر انتشاراً هو الزي الفرعوني وبعض الأزياء البدائية وأقلها كان الزي العربي، تحركنا للأسفل وموسيقى حماسية تعزف في الأرجاء لنجد أنفسنا بعد دقائق في قاعة فرعونية كبيرة ومضاءة لم أعلم من أين تأتي إضاءتها. وبعد دقائق دخل سبعة من الرجال فأضافوا للمكان رهبة كبيرة، ثم غابت الأضواء لكن نور القمر كان ساطعاً ينيّر وجه الرجل الذي توسط السبعة قائلاً:

_ معظمكم لا يعلم لماذا جاء إلى هنا.. لكن للأمر قصة شخصية، دعوني أقص بعضها عليكم..

منذ ألفي عام كانت الحرب ضد السحرة مشتعلة في كل مكان، كان بداخله شعور قوي تجاه كل السحرة، وشعر بأنه مسئول عن كل فرد منا، كما علم شيئاً آخر هاماً، في البدء كانت الكلمة وأول ما يجب أن يفعله هو أن يقرأ حتى يجد حلا بين الكلمات، وقد وجده بالفعل، فبعد ظهور أيبنا الأول آدم حاول بعض الجن الرجوع لخلافة الأرض مرة أخرى لكن ما كان يمنعهم ليس البشر بل وجودهم في بعد آخر، لقد كان حكم الله نافذاً إذ إنهم لا يستطيعون مجابهة البشر؛ لأن هناك أشياء أقوى من قوتهم نفسها لكن كان هناك سحر الكلمة الذي بات من ملك البشر، قاوموا ورفضوا وحاولوا لكنهم فشلوا في الرجوع سادة للأرض إلا واحداً فقط، انتظر لوقت طويل جداً..

ما لا يعلمه الكثيرون أنّ الروحاني الأول لم يكن بشرياً بل كان من الجن وعندما اشتدت الظلمة على السحرة جاء وألقى بقوانينه وسطهم، لقد كتب قانونه قبل أن يلتقي بهم كأنه يملك قبساً من المستقبل، وانتشرت قوانينه بين السحرة كالنار في الهشيم.. كانت أياماً عصيبة على جميع السحرة واتفقوا بلا حديث أن يلزموا الصمت ضد ما يحدث لعامة السحرة والبشر المظلومين جراء رفض الجميع لهم، وتلت ذلك محاكم التفتيش ومحاكمة السحرة التي تكررت لأكثر من مرة عبر التاريخ.. أطلق على نفسه اللقب الذي نعرفه به (الروحاني الأول) واختار رفيقاً

له في رحلته، وتم بناء دولتنا اعتماداً على قانونين هامين، الأول: أن لكل بشري أخ من الجن يفدي كلاهما الآخر بروحه ويلبي طلبه، وإن تقاعس أحدهما عن خدمة الآخر يتم قتله أو على الأقل طرده من عالم الروحانيين.. والثاني: يجب أن يكون لكل فرد هبة تجعله مختلفاً عن أقرانه سواء من الجن أو الإنس وعلى أساسها يتم الاختيار، وغداً سيتم اختيار القرناء.

نور

أعلم أنني صغيرة على تلك الأمور لكني أعلم أنني أشعر بشيء نحو بدر، لا.. ليس الحب، إنه غبي لا يفقه شيئاً عنه، ولا يفقه شيئاً في العموم، لقد رحل كما ظهر فجأة وتركني بدون وداع قصير.. أخاف أن أقصّ على أبي الأمر؛ فالكبار دوماً لا يسمحون للصغار بمحاولة الفهم، دوماً ينصحون دون الاستماع لأفكارنا، كنت سأضعف لولا أنه عاد..

كان يوماً مملاً إلى أن جاء مخترقاً أفكارى، اخترق حاجزاً لا أفهمه في أحلامي ليقصّ عليّ أموراً لا أفهمها، تارة كان يشرح وتارة أخرى يجعلني أرى عندما يعجز عن الشرح، كيف يحتفظ بتلك الذاكرة السينمائية؟!

كنت حائقة عندما رأيت مبهجاً، ظننت ابتهاجه سيسعدني.. لكن كيف أسعد وقد تركني بدون صديق؟ نعم، فأنا وبدر أصدقاء، أتذكر يومها أنه لم يترك لي فرصة السؤال ولا حتى الفهم، فقط اقتحم أحلامي وقال:

_ نور، لقد كان الأمر مبهجاً، عشرات من الجن حولي بأشكالهم المختلفة، لقد حاول أحدهم إخافتى، هل تعلمين أنه مراهق مثلي وفي الخمسين من عمره؟! لقد فقدت السيطرة على نفسي من كثرة الضحك عندما أخبرني بذلك، اسمه شرهاب، هو مضحك جداً، يتلعثم أحياناً عندما أضحك... كان حفلاً مبهجاً وقد تركونا نتعرف على بعضنا البعض لمدة ست ساعات، الحقيقة أنني أحببت وجودي بينهم، تعرفت أيضاً على مراهق بعوينات كان الجميع يسخرون منه، دعني أريك يا نور.

لم أكن سأصدق بوجود أشياء مثل هذه، لو تمّ تسجيل أحلامي مع بدر لأصبحت فيلماً سينمائياً ناجحاً جداً، كانت الواحة مضيئة كأنها قطعة من النور والبهو الفرعوني مهيب، كان المراهقون يمرحون لكني لاحظت شيئاً لم يلاحظه بدر.. كانت هناك هالة طفيفة حول الأشخاص فهناك من تحاوطه هالة رمادية وآخرون هالتهم تميل للبياض مثل بدر، أمّا ذلك الشاب الذي اصطدم ببدر ونعته بالأحمق فهالتة سوداء تماماً.

قاطعت بدر سائلة عن صاحب الهالة السوداء، فقال مبتسماً:

_ أيّة هالة؟

لم أستطع أن أشرح له؛ لذا سألته عن المراهق الذي اصطدم به، وسألته عن الجن فأجابني قائلاً:

_ ألم تريهم؟!

كانت هناك غرابة في رده؛ لذا سألته:

_ بدر، أتخفي شيئاً؟

قال محرّجاً:

_ نعم، أخفيهم عنك.

وقتها شككت بالأمر، هل هذا كله من نسج خيال بدر؟!

لكنه قرأ أفكاري، فقال مستدرّكاً:

_ لا، بل أخشى عليك من معرفة كل شيء، هناك معلومة قالها صديق لي..

قاطعته غاضبة:

_ أنت تخفي عني أموراً بحجة أنك تخاف علي، حقاً لا أريد أن أرى شيئاً.

أعلم أنني صغيرة على تلك الأمور لكن من فوضه لحمايتي؟ من يظن نفسه؟

نحن مجرد أصدقاء..

ولكنه قال محاولاً مصالحتي:

_ حسناً، سأريك شيئاً ليس بالبسيط ولا الهين، سأريك اجتماعاً لم يشاهده أحدٌ

غيري..

مرة أخرى اختفى بدر الجالس حدائي وظهر الحفل، كان التنقّل مسلياً في بدايته لكن سرعان ما استيقظت مفزوعة، لم أتحمّل رؤية الأمر فقد كان مرعباً ومخيفاً.. تساءلتُ بيني وبين نفسي: هل ستكتمل صداقتي مع ذلك الفتى الغريب أم ستنتهي سريعاً؟

كانت دعوتي إلى حفل الاختيار مريبة، فلم أعتد هذا النشاط من أقزام العفاريت منذ فترة لكنه ظهر أمامي فجأة ونظر لي بنظرة كراهية كنت قد اعتدتها في الفترة الأخيرة، ثم ناولني المظروف.. في الظروف العادية فهي دعوة معتادة لكن بينما أنا بانتظار معارك ستحدد مصيري فقد أشعرتني بشيء من التوتر، وضعتها بجواري وتصفح الكتاب الذي أعطاه لي أبكم..

(قبل البدء كان الربُّ، ثم جاءت الكلمة وأخذها القديسون من الذين تركوا لنا علمها، وانتشر الدم بين أصحاب الكلمة وأصبحت سيفاً على رقابهم، انقسمت الكلمة إلى نصفين؛ أحدهما فاسدٌ نجسٌ اعتلاه إبليس ملك الأرض السفلية، وجاء الإنس وامتلكوا سحرها.. ولكن سيد السفليين أغواهم، فكرّس الروحانيُّ الأول حياته من أجل استعادة سحر الكلمة لذا وضع القوانين حتى يملك السلاح، أولها كان عهد الأخوة بين الإنس والجن.)

أغلقت الكتاب شاعراً بالملل، في كل الكتب يمجدون الأساطير عن الروحاني الأول ويتجاهلون أمراً هاماً هو أن (الغريب) انتصر عليه، وإذا ما كانت الشائعات حقيقة فقد عاد وجيشه يستعد الآن للحرب، ولن يستطيع أحدٌ إيقافه تلك المرة..

لماذا لا يكتبون عن تاريخه ولا نجد أثره إلا في كتب السفليين؟

أية استفادة ستعود عليّ إن عاد جيشه مرة أخرى دون سلاح قوي لمواجهةهم؟

في هذه اللحظة سمعتُ صوتاً أسفل شرفتي، تذكرتُ ذلك الصباح البارد الذي غادرت فيه عالم الروحانيين حين لم يقم أحدٌ بإلقاء السلام عليّ إلا خادمي ماذر _ كلمة خادم ليست سبة بين جن الروحانيين، بل هي مقام رفيع لا يصل له إلا من مر بالاختبار_ الذي جاء من الأسفل سائراً مثل البشر وودعني بحرارة، واليوم عاد بنفس الطريقة.. مشى متهادياً نحو الباب، ثم ظهر أمامي متجسداً في هيئة عربي قمحي البشرة، عسلي العينين، دقيق الأنف، والحق يقال إن ماذر اختار هيئته بعناية؛ فلم يكن وسيماً لحد الحقد عليه ولا بغيضاً حد النفور، بل كان يتجسد بجسدٍ كله قبول. رحبت به واحتضنته كما تعودنا وأنا أتذكر احتضاني الأول له كان منزعاً ولم يفهم طبيعته إلا بعد وقت، سحب كرسيّاً من أمام المائدة وقال:

_ كنتُ أعلم أنك ستعود يا حرب، إذا كنت تظن غير ذلك فأنت أحمق.

أجبتُه وأنا أرمقه بنظرة معاتبة:

_ لعليّ أحمقٌ يا صديقي.. لكن لم يتبق لي غيرك لذلك عدت.

قال ببرود:

_ لا تكذب علي، لقد عدت من أجل انتقامك.

وضعت يدي على رأسه مداعباً:

_ لماذا؟ كنتُ أظن أن هذا الرأس فارغ، لقد عاد عليك السجن بالفائدة ولم تعد أحمقًا كما عاهدتك.

ضحك ماذر، ثم قال:

_ الحماقّة هي أني وافقت على خوض حربٍ معك أنت، ألا تعلم من هم أعداؤنا تلك المرة؟

أجبتّه في توتر:

_ بل أعلم، وهذا ما جعلني مشفقًا عليك.

لم تلق إجابتي ترحيبًا منه فأشار لي بالصمت، ثم قال بصوتٍ لا يكاد يسمع:

_ من أعلمك بهذا؟

ألقيتُ بتعويذة في اتجاهه ليظهر أحد جن المنازل وهو يمسك أذنيه الطويلتين صارخًا من الألم..

_ أعلمني أبكم بالأمر، وقد أعطاني هذا الكتاب

لم يكن الجنّي يسمعنا لكنه كان يصرخ من الألم، وعندما لاحظ عدم اهتمامنا به غادر المنزل هاربًا.

قال ماذر عن الجنّي:

_ كنتُ أعلم أنه موجود، وقد شككتُ في قواك في بداية الأمر.

أمسك ماذر بالكتاب وهو يقول:

_ لقد وضع بعض البخور على كلماتٍ بعينها، أستطيع شمها من هنا.

سألته فرحًا:

_ ما هي؟

_ العلامة الأولى توجد على كلمة هوائي، والثانية كلمة طيار.. أظن أنه يشير إلى من ستواجههم، فهل أنت جاهز؟

جاسر

يعتقدُ بعض الروحانيين أنهم ملكوا كامل القوة لأن الحاجز بينهم وبين عالم الجن أصبح مختلفًا أو ضئيلاً لكن الحقيقة الواضحة أن الروحاني الحق هو من يدرك أنه مع زيادة تعمقه يجب أن يخشى الصدام بهذا العالم، وقد تعلمتُ هذا مبكرًا وتعلمتُ أيضًا أن هناك أشياء يجب أن أخشاها أكثر من ذلك مثل: سحر الأماكن. وقد كان المطعم أسطورة هو وصاحبه -الرجل البدين- تركها القدماء، ولم يصدق أغلبنا تلك الشائعة التي تقول إنَّ العهد انتقل لشاب منذ عشرة أعوام، فلم يلق هذا

الأمر ترحيباً من قبلنا فنحن الروحانيون نعلم أن أيّة مواجهة مع الأمور الخارقة للطبيعة ربما لن تعود بالنفع على أيّ من الطرفين.. وهناك إشاعة أخرى تقول (إنّ كل من وجد المطعم أصبح مجرد وجبة فيه) ولمن لا يعلم فهذا المطعم لا يظهر إلا لمن يشاء الظهور له، عند دخولك سيتمّ تقديم وجبة لك حتى لو لم تطلبها ووقتها ستواجه قدرك، ربما تكون وجبتك بطعم إنسي ملعون أو أحد الشياطين بينما عندما تقوم بطلب ما تريد فربما يصبح سبب هلاكك يوماً ما، لقد سمعت أن شاباً طلب وجبة بطعم الشياطين وقدمها له المالك القديم، وخرج (وظهر) بداخله أحدهم حتى مات على يد صديقه..

العجيب فينا معشر البشر ظننا أننا نهرب من الموت كل يوم مع أن نهاية كل يوم هي ما يُقربنا منه، ورغم علم البشر أن كل من يموت كان حياً في البدء يظنون أن الموت بعيد عن الأحياء مع أن الأصح أنه أصبح بعيداً فقط عن الموتى..

طال انتظاري أمام ذلك الحرم الجامعي، وعندما خرج ذلك المراهق تبعته، بعد مسافة ليست بالقليلة نظر تجاهي قائلاً:

_ هل تتبعني؟

لم يكن هناك بدٌّ من الإنكار؛ لذا قلت له:

_ نعم أتبعك.

قال بنظراتٍ مُحتدة:

_ ماذا تريد مني؟

كانت أشعة الشمس تتلألأ في عيني؛ فأشرت له بأن نجلس بإحدى المقاهي، كان متردداً لكنه في النهاية وافق، بعد جلوسنا سألني بتحفظٍ واضح:

_ لا أملك اليوم كله؛ لذلك أخبرني لماذا تبعني إلى هنا.

قلت في اختصار:

_ أستاذ زياد، أعلم أن لك أختاً شقيقاً مختلفي منذ فترة و.

قاطعني معنقا:

_ إذا جئت تسأل عن أحمد؟

أجبتّه موضّحاً:

_ بل جئت من أجل الذهاب إليه.

قال بغضبٍ واضح:

_ وإن لم يرد أن يذهب إليه أحد؟

أجبت محاولاً امتصاص غضبه:

أنت وأنا نعلم أن معرفة مكانه ليست كافية لرؤيته، فالمطعم يختار من يظهر له، أما فكل مخلوقات العوالم الأخرى تتبعني وتحاول قتلي، ربما وصولي إليه يؤخر موعد موتي.. كان بإمكانني معرفة مكانه دون إرادتك- بهبةٍ منحت لي وقمت بتقويتها لكني أريد أن أذهب إليه بمعاونتك حتى يظهر المطعم ويعاونني.

سألني متجاهلاً أمري:

أية هبة؟

قلت له:

بمجرد ملامستي لرأسك بإمكانني أن أرى ما أريد معرفته.

قدم رأسه للإمام وهو يقول متحدياً:

إذا حاول..

ترددت لكن مع إصراره وضعت يدي على رأسه وأغمضت عيني محاولاً الرؤية، ثم وجدته هناك ينتظرنني صارخاً بوجهي، كان برأسه شيطاناً مكبلاً يصرخ، لا أعلم هل هو سجين أم يقف حارساً لأسراره، حاولت الهروب والخروج من رأسه لكن للمرة الأولى لم أستطع، ثم اختفت الرؤية تماماً لأسمع بعدها صرخات الشياطين داخل رأسي أنا.. إن استمر الأمر لدقيقة أخرى ربّما سأموت من الرعب الذي اجتاح قلبي الآن.

استيقظت من نومي لأجد نفسي مقيداً في غرفة مظلمة، فظننت أنني ما زلت سجيناً برأس ذلك الفتى الأحمق لولا أنه قاطع أفكاري مضيئاً الغرفة ومقترّباً مني بينما يقول:

أكنت تظن أن صديقي سيخونني، وأن حيلتك معه ستفلح معي؟! الآن أريدك أن تخبرني وبكل صدق لماذا تريد رؤية أخي..

نظرت في زاوية الغرفة لأجد قريني مكبلاً هو الآخر وينظرُ بفزعٍ كأن شياطين الجحيم تعذبه، وكأن ما فيه يُعميه عن رؤية حالي.

نظر زياد نحو قريني وهو يقول:

لا يستطيع رؤيتك، لا أحد يستطيع رؤيتك، والحقيقة أن تلك الغرفة هي هدية شقيقي لي بعد ما لاقيته في مطعمه، لم أخبرك أن أول وجبة لي في ذلك المطعم الملعون كانت بطعم أحد الشياطين، ومن وقتها بداخلي جزءٌ صغير شيطاني، كان يحرمني النوم ولم يجد أخي علاجاً إلا تلك الغرفة، ثم علمني السيطرة عليه، والآن لا أحد يستطيع سماعك أو رؤيتك هنا، فتحدث.

إن كان هذا المراهق مرعباً لتلك الدرجة فلأي درجة سيكون أخيه، قلت له:

مثلما توجد أساطير كالمطعم الذي يقدم لك وجبة تسكن بداخلها روح اختيارك. فهناك أسطورة لم تسمع عنها، سأخبرك بها.

منذُ زمن كان الجن يحكمون الأرض ثم تمّ نفيهم إلى بعدٍ آخر، كثير منهم حلموا بالعودة لخلافة الأرض ولكن كان حكم الله عليهم نافذاً، وعلموا أن البشر يملكون قوةً أكبر منهم وهي، "قوة الكلمة" لذلك قرر أحدهم أن يعود بطريقةٍ أخرى، بأن يصنع عالماً يمزج بين البشر والجن، لا يدخله إلا أصحاب الهبات، وعلى مدار سنين ظل يكتب قوانينه ويمهد لحكمه حتى جاءت محاكم السحرة الأولى التي لم تُكتب في تاريخنا، ولم يشكوا وقتها أنها من ترتيبه، وبدأ بناءً مجتمع الروحانيين، وأخى بين كل ساحر وجني، وتم تقسيمنا إلى سبعة مدارس كما نقول نحن البشر؛ لأنّ البشر والجن يحبون الانتماء إلى قبيلة أو مكان، وسمى كل من ينتمي له بالروحاني.. تزايدت أعداد الروحانيين وأصبحنا نحكم عالم السحر في الخفاء، حينها كان معه (الغريب) الذي نجهل عنه الكثير ولا نعلم إلا ما أخبرونا به، البعض يقول إنه يحكم العالم السفلي، بينما آخرون يجزمون أنه روحاني فاق أقرانه وقتل الروحاني الأول في معركة لن ينساها تاريخ الروحانيين ثم اختفى مصاباً وفقدنا أثره عبر التاريخ، انقسم عالمنا إلى نصفين؛ نصف يتبع عهد الروحانيين وقلّة تتبع (الغريب) وقامت حروب فاز في نهايتها الروحانيون، وأسسوا مجلساً يرأسه أحدهم، كل أوامره نافذة على الروحانيين من عالمي الإنس والجن، والآن كل الروحانيين يريدون قتلي لأنني قتلت رئيسهم لذا لجأت إلى طلب الحماية من أخيك.

كان الفتى يقف مذهولاً بعد كل ما سمعه، فجأة قال متعجباً:

هناك عالمٌ خفي يجمع في حكمه بين الإنس والجن ولا يعلم به أحد، وأنت تقول إنك قتلت حاكمهم وتريد مني أن أدلك على مكان المطعم حتى أجد أخي في نهاية الأمر مطارداً مثلك، بالتأكيد هذا لن يحدث!

كان رفضه هذا يعني فقدي الأمل الأخير.

بدر

ما يحدث الآن مشابهٌ للقصاص التي كانت تحكيها جدتي، في البداية شعرتُ بالرعب؛ خوفاً من ظهور الجن، ومع الوقت علمتُ أنهم متجسدون في هيئة بشرية حتى أنني لم أستطع التفرقة بينهم وبين البشر العاديين، كنا نجلس في ذلك البهو الفرعوني والسماء فوقنا ينيرها القمر، المراهقون يملئون المكان في مجموعات وأنا أمشي بينهم محاولاً معرفة الاختلافات بين البشر والجن، حتى صادفتُ شاباً يرتدي عوينات ويردد في ثقة:

من لا يملكون ظللاً هم الجن.

نظرت إلى ظله شاعرًا بالخوف، وعندما وجدته ابتسمت له وأنا ألتفت حولي
قائلًا:

_ من أعلمك بهذا؟

أشار إلى مراهق بشعر غير مصفف وهو يقول متجاهلاً سؤالي:

_ هذا أيضًا من الجن، أغلبهم لم يحتك بعالم البشر؛ لذلك لا يعلمون بعض القوانين
وأيضًا لا يعلمون ما يعتبره البشر أمورًا طبيعية.

سألته في توتر:

_ مثل ماذا؟

قال بفخر:

_ مثل تصفيف الشعر وارتداء الملابس، لم يسبق لأغلبية الجان الاحتكاك بالبشر
لذا ستجد أغلب معلوماتهم من قراءات كاذبة.

كانت الأطعمة كثيرة وتتحرك بلا حامل وبتناغم يشبه عزف الموسيقى، كنتُ
منبهراً بحركتها لولا أن قال لي ذلك الفتى:

_ يتحرك الجنُّ الأقرام بخفة، إنهم صنف مكروه في عالم الجان، ولضعفهم تم
استعبادهم؛ فهم لا يستطيعون الطيران ولم يسبق لأحد منهم أن امتلك هبة وهم
معروفون بالخيانة..

أثناء حركتنا ارتطم صديقي الذي لم أعلم اسمه بعد بشاب أشقر، لم يقبل الأشقر
اعتذاره ولسوء حظي بصق على صديقي الذي انحنى مائلاً ليرتطم بي، قلت له
مؤبناً:

_ أرايت ما تسبب به عدم تركيزك؟

أجاب باسمًا:

_ إن ذلك الفتى يشبه والده حقًا، لقد قص على والدي الكثير عنه فوالده كان عنيفًا
مثل اسمه، وعائلة (دمار) تُعامل الكل باستعلاء.

قلت له باسمًا:

_ عائلة من؟!!

قال متعجبًا:

_ بعد كل سبعة أعوام لك الحق في تغيير اسمك لمرة حتى لا يستخدمه أعداؤك
ضدك، وهذا يبطل الكثير من الأسحار لكن بشرط موافقة المجلس؛ لذلك نختار
أسماءً تثير الرعب في قلوب الآخرين.

سألته:

_ ما اسمك؟

قال باسمًا:

_ ربما يوماً ما سأجيبك.

لا أظنه يخشى أن أعرف اسمه.. لكنني على أية حال احترمتُ رغبته. سألته مرة أخرى:

_ هل كل الجن يعلمون بأمرنا؟

قال وهو ينظر حوله:

_ بمجرد اختيارك سيكون ممنوعاً عليك أن تتحدث عن وجودك هنا وستتلو تعويذة من اتجاه واحد غير قابلة للفق، بمجرد نطقك لها تصبح موشوماً بوشم لا يظهر إلا بعد موتك أو مجاهرتك بالأمر؛ ليخبر الجميع أنك لم تعد من الروحانيين الآن وهذا ينطبق على البشر والجن المختارين، هذا ما يجعلنا قوةً سيخشاها الجميع لذلك نعمل في الخفاء.

_ وما هي طرق اختيار الجني الخاص بي؟

قال وهو يبتسم ساخرًا:

_ أسألتك كثيرة كأنك طفل مدلل مع والده، أولاً: لن يكون هناك جنيّ خاص بك فمع كل طلب تطلبه من خادمك يكون للجني طلبٌ آخر بالمقابل، احذر أن تُكثر في طلباتك فله حق الرفض حتى تصبحا متعادلين في طلباتكما. ثانياً: من الأفضل أن يكون صديقاً وأخاً حتى لو كان يُطلق عليه خادم روحاني. ثالثاً: حسب طبيعتك سيتم الاختيار؛ فالجن والبشر أنواع، إن كانت طبيعتك نارية سيكون خادمك نارياً لكن تمنى من الله ألا تكون طبيعتك مائلة للشر، فرفيقك وقتها سيكون سفلياً وكل السفليين ملاعين وإن أظهروا عكس ذلك.

كان خبيراً بذلك العالم وشعرتُ بالضالة بجواره، إنَّ هذا المراهق سيكون صاحب شأن في هذا العالم. تمشيتُ بجواره متمنياً أن ألزم صحبته وأنا أحاول سبر أغوار هذا العالم.

_ هل هناك جماعات أو قبائل من الجن كما أسمع؟

قال بفتور من امتلاً بالغرور وقد أصابته كثرة الأسئلة بالملل:

_ هناك جماعات وهناك قبائل لكن ما يهمك هنا هو من سيكون معلمك الروحاني الذي سيعلمك كل شيء، وللعلم إنَّ أكثر ما نخشاه هو جماعتين؛ الأولى هي جماعة (الغريب) أما الثانية فهي جماعة المرتزقة، وهؤلاء لا غلبة لنا عليهم لأنهم مثلنا مخفيون، لا نعلم من هم ولكن نعرف رئيسهم، جميعهم من الجان أو صغار السحرة بلا هبة.

سألته في قلق:

_ من هو (الغريب)؟

قال بتهكم:

_ إنه تاريخ السحر الأسود نفسه، بعضنا يقول إنه الشيطان، وآخرون يظنون أنه إنسي أظلم من الشيطان نفسه، وأنه ترك إرثاً من السحر الأسود لكن لم يستطع أحد الوصول إليها، أخبرني أبي ذات مرة أن الرصد الذي تركه يطلب نهرًا من الدم البشري، وعندما سألته عنه مرة أخرى أنكر الأمر، كما أنني سمعت ذات يوم في اجتماع عائلي -عندما كنت صغيرًا- أن قائد المجلس قام بعمل غير مسبوق وهو التعزيم على ملك من ملوك الجن الأقوياء محاولاً الوصول إلى إرثه، كانت العزيمة ترغم فقط ملك تلك القبيلة على طاعة المعزم، فلما علم الملك أنه يبحث عن رصد (الغريب) ما كان منه إلا أن تنازل عن ملكه لابنه، ثم قام بحرق رئيس المجلس الذي لم يستطع أن يواجهه لمدة أطول من نصف ساعة.

قلت له في توتر:

_ هل نحن ضعفاء لتلك الدرجة؟

قال مبتسمًا:

_ لسنا ضعفاء.. لكن هل تظن أننا نستطيع كسر القوانين بتلك البساطة؟

هل تظن أن معرفة العالم بجماعتنا لن تجلب لنا إلا المتاعب وربما النهاية، نحن جماعة من كل الطوائف، إن معبدنا الذي يقام به الحفل هو الوحيد للذين يعيشون في أفريقيا وآسيا وهناك مثله في القارات الأخرى، هل تظن أن من سينكشف سيجد عوناً من الروحانيين الآخرين؟ وكم عددنا مقارنة بالآخرين؟

هل سيتفق المردة والجن والعفران والغيلان والأقزام وغيرهم وقت الحرب؟

لقد أخبرني أبي حكمة ما زلت أتذكرها "إن العدو الذي يخشاه الجميع ويفقدون أمامه كبرياءهم وقوتهم هو الموت، أما غير ذلك فهي أمور متغيرة." هيا لنستمتع بالحفل، إنها أفضل فرصة لتوديع الماضي واستقبال حاضرٍ لن نستطيع أن نتحدث عنه أمام الآخرين، ولا حتى في أحلامنا.

قلت في قلق:

_ هل يعلمون بأمر الهالات (الهبات) المكتسبة؟

رد ساخرًا:

_ إذا كيف تم اختيارك؟

ثم استرسل قائلًا:

وقبل أن أنسى، اسمي الحقيقي الذي سيظل معي سبعة أعوام كاملة هو -
إسلام.

لم يجلب ببالي ذلك الأمر إلا بتلك اللحظة؛ فقلتُ ساهماً:

_ أنا بدر.

وشعرتُ بالحزن، فالיום سيكون الأخير في حديثي العقلي مع نور.

كيف حالها الآن؟

حرب

ارتديتُ ملابسِي كاملةً استعداداً لحفل الاختيار وأنا أسترجع ذكرى حفلي الأول، كنتُ مبهوراً مثل كل السذج الذين انضموا قبلي وبعدي، عالمٌ خيالي يحلمُ به كل المراهقون حول العالم، ستتقبل الهبة أو القوة التي تمتلكها بداخلك وستتعلم تقويتها والسيطرة عليها، سيكون لك رفيقٌ من الجان تطلب منه ما تشاء، وكل ما يجبُ أن تفعله بعدها هو أن تقومَ بعد كل ما تطلبه لأنها ستصبحُ ديوناً يأتي وقتُ سدادها.

حتى عندما علمتُ أنني سأتركُ عالمي القديم لم أفزع، كنتُ أظن أن بإمكانني الفوز بالعالمين في وقتٍ ما، وفي النهاية خسرت كليهما. نزلتُ الدرج شاعراً بوجودِ خادمي ماذر حولي الرفيق الأمثل لمجنونٍ مثلي، مَنْ غيره سيتحمل جنوني!

كنتُ أريد مكاناً بعيداً نسبياً عن منزلي الجديد حتى لا تلتفت تعويذة الانتقال أحد الجان؛ فأنا لن أستطيع تغيير مكان مبيتي كل يوم، الأمر حقاً مرهق وما فعلته بالجن الأخير كان مضحكاً لكنه في النهاية أفشى أمر مكاني، ولحسن حظي أنني حتى الآن لم أعد لمكاني بين الروحانيين وإلا كنتُ أريدته قتيلاً، لقد قمتُ بإلقاء تعويذة الانتقال الآن ولكن هناك خطبٌ ما يحدث.

الظلامُ يعم المكان، في المعتاد تكون الواحة كلها مضاعة، ناديتُ على ماذر لكن لم يأتني أي رد، ومن مكانٍ لم أستطع تحديده جاء صوته متفاخراً:

_ (حرب) العنيد قد عاد، دعني أقدم لك نفسي.

قاطعته لكسرٍ غروره وقتل فخره بنفسه:

_ أنت ظلام، هوائي الطباع، وهذا بالطبع يعني أن خادمك بنسبة كبيرة من الجن الطيار.

شعرتُ بامتعاضه عندما قال بصوت مخنوق:

_ كنتُ أتمنى أن تبعد عن عالمنا وترجع عن غيك.. وللأسف عُدتُ مُحملاً بالكرهية يا حرب لكن كل هذا سينتهي الآن.

كانت عيناى قد ألفتا الظلام ولكنى لم أستطع الرؤية، فألقيت بتعويدة صغيرة تملأ فضاء المكان بشراراتٍ نارية، شاهدتُ بالأعلى خادمه الطيار وهو يطوف حذرًا وهينته النارية تتموج وقد ثارت من حوله الشرارات الساخنة، ثم التفتت أعيننا لينفجر حلق ظلامٍ بزمجرة كهزيم الرعد ويلقى بتعويدة تجاهي.. لكن يده انحرفت قليلاً عندما أصابتها شرارة نارية.

كنا فوق ربوة عالية ولم يكن أمامي وقت طويل للتفكير وأنا أرى الجن الطيار يتحول إلى وحشٍ مخيفٍ تنبت من أطرافه مخالب تنذر بالشر، وبين فكيه أنيابٌ لن ترحم، لم أخف من التحورات التي يستطيع أن يتحوّر إليها الجان لكنى كنت أعلم أنها كما تضعفهم في هينتهم الحيوانية وتجعلهم في حالة مادية تشبه أجسادنا إلا إنها تكون حقيقية؛ لذلك كان يجب أن أتصرف وأنا أرى تضخم ذلك الجنى الصغير إلى وحشٍ مخيفٍ. كان رأسه يشبه أسدًا ضخماً، أما باقى جسده فقد كان بشرياً ما عدا ذلك الذنب ذي الطرف المدبب الذي نبت أسفل ظهره، علمتُ أن حياتي إذا لم تنته بالتعويدة القادمة فالأكيد أن ضربة واحدة من ذلك الوحش ستفي بالغرض.

كانت الشرارات النارية قد شارفت على الانتهاء، أشرتُ بيدي تجاه ظلام، ثم ألقىت بتعويدتي الثانية، تحركت مبتعداً وعندما لم يصبه أى شيء ابتسم ساخرًا وهو يلقي بتعويدته الأخيرة قبل أن يعتم المكان كله مرة أخرى، كنت أعلم أن عيناه لن تألفا الظلام بسرعة؛ لذلك تحركتُ مسرعاً نحوه بخطواتٍ مراوغةٍ مخاطراً بحياتي.. كانت فرصتي الوحيدة؛ لذلك شعرتُ بسعادةٍ تغمرني بعدما سمعت حشرجته حين ارتدت تعويدته نحوه، كانت تعويدتي الثانية التي ظن أنه تفادها هي قبة من المرايا العاكسة للسحر عزلته عن الجميع فلم تستطع تعويدته المرور وارتدت إليه، عندما أضأت المكان صُعق الجنى لوجود سيده ورفيقه بين يدي.

قال ظلام موجهًا كلامه له:

_ اهرب.

من بعيد سمعت صوت ماذر يُنادي محاولاً تعقبى، ليعيد ظلام قوله لخادمه:

_ اهرب، ثم انتقم لي.

قمتُ بكسر القبة الزجاجية وفصلت عنق الرجل ليقع رأسه على كتفه والدم يفور منه بغزارة، ليزأر الجنى بهينته الحيوانية قبل أن يتحرر منها عائدًا لطبيعته النارية وهو يدق بيده على ما تبقى من القبة قائلاً:

_ سأقتلك أيها الخبيث، لن أتركك.

ثم تحركتُ سريعاً مُختفياً في اتجاه السماء.

وصل ماذر وهو يشير إلى الأعلى قائلاً:

_ هل يجب أن أتعبه؟

قلت له:

_ لا، يجب أن أغير ملابسني حتى نلحق بالحفل.

تركنا جثة ظلام على الأرض ونحن نعلم ألا شيء سيحمينا من قبيلته إلا عهد الروحانيين؛ لذلك لم يكن هناك بديلًا أمانًا إلا الفوز في الحرب.

عدتُ للمنزل مرةً أخرى، ثم ارتديتُ زيًّا آخر للحفل، لم يكن هناك الكثير من الوقت فاستعنتُ بتعويذة الانتقال لأجد نفسي أمام أبواب قاعة الاحتفال، تحركتُ تجاه قاعة الاجتماع فوجدتُ أحد الصبية يسترق السمع، لم أنبهه أي اكتشافته لكنه شعر بنظراتي فتحرك مبتعدًا، كنتُ أعلم أن بالداخل سبعة من قادة الإنس ومثلهم من الجن، لم يطل انتظاري حتى خرجوا جميعًا لكن توقف رئيس المجلس المفاجئ واختفاء ابتسامته عند رؤيتي جعلاني أتأكد أن دعوتي للحفل كان الغرض منها التأكد من موتي فقط؛ لذا بادلتُه ابتسامة باهتة ثم تحركت مبتعدًا وبداخلي شعورٌ ينمو بأن معاركي الثلاثة لن تكون النهاية بل هي البداية...

نور

استيقظتُ شاعرةً بالفزع والخوف، لم يكن ما رأيته سهلًا؛ سبعة من البشر بجوارهم سبعة من المخلوقات الغريبة، لا أتذكرُ ملامحهم كاملة لكن أحدهم كان ينظر إلى عيني مباشرة كأنه يعلم بوجودي، هل هؤلاء هم الجن؟ بشرته المجعدة وأنفه، لا.. لا أريد أن أتذكر أي شيء من هذا. تعجبتُ من وجود شخصٍ آخر في حلمي المشترك مع بدر؛ فلم يكن هذا معتادًا بيننا ولا أعلم كيف حدث..

كيف دخل إلى رؤية صنعها عقل صديقي؟ أم إن كل تلك الأمور أوهامٌ تجول بعقلي فقط؟

تحركتُ تجاه غرفة أبي لعلي أجد بعض الونس بوجوده بالببيت لكن ما شاهدته بالصالة جعلني أجزم أن حياتي لن تعود كالسابق، لقد كان هناك مخلوقٌ يغزو الشعر كل جسده وبنهاية ظهره يبرز ذنبه واضحًا بنهاية حادة، قدماه لونهما أحمر بأظافر خشنة، وذراعاة نحيفان. لاحظتُ نظراتي وانتبه لي وهو يعبث بيده في أذنه ويبتسم ابتسامة برزت من خلالها أنياب واضحة، صرخت بعدها بأعلى صوتي ليخرج أبي فرعًا وهو يقول:

_ ما بك؟

أشرت تجاه ذلك المخلوق وأنا أقول:

_ هناك، إنه هناك..

_ من هو؟

قلت في رعب:

_ لا أعلم إن كان جنًا أم شيطانًا.

استعاذَ والدي من شياطين الجن والإنس، وقبل أن يكمل استعاذته كان ذلك الشيء قد غادر مكانه واختفى.

احتضني أبي واعتصر يدي بيده بتلقائية، ثمَّ مسَّ وجنتي بلمسة خفيفة وهو يسألني:

_ ماذا رأيتِ؟

لم أخبر أبي بشيء مما بيني أنا وبدر خوفًا منه لكني أخبرته عن ذلك المخلوق، لم أكن أعلم أن تلك هي البداية؛ فقد انتهز ذلك المخلوق خروج أبي وظهر مرة أخرى لكنه لم يكن وحده، كان هناك خمسة آخرون يشيرون له بالخروج من المنزل، لم يأبه لهم فاندلعت الحرب.. كانت سريعة وقصيرة؛ خمسة من الجثث تفترش صالة منزلنا وهو يتجول بينها، ثمَّ وقف بجوار باب غرفة أبي دون حركة، شممت رائحة عفنة تسيطر على المكان، كنت أرتعش مثل فراشة في ليلة ممطرة، ولم يمض وقتٌ طويل حتى فقدت وعيي لأستيقظ بعدها وأجد نفسي في غرفتي، في أفضل الظروف فالطريق الذي أسلكه الآن مليء بالأشباح والأشباح لا تسلك إلا طرق الموت.

جلس أبي بجوار ي شاعرًا بالخوف وهو يسألني:

_ هل شاهدتِ نفس الشيء؟

أومأت برقبتي ليعلم أن الأمر حدث مرة أخرى؛ فقال لي:

_ لا تخافي، غدًا سأحضِر الشيخ محمود حامد.

سألته في توتر:

_ من هذا؟

قال:

_ إنه داهية في تلك الأمور؛ لذلك لا تخافي من شيء.

قلت له لأول مرة منذ وفاة أمي:

_ أبي، لا تتركني وحدي.

على ذلك الكرسي -الذي شاهدتُ منه بدر لأول مرة- جلس هناك ليشعرنني بالأمان كعادته.

الشيخ محمود

كان استقبال تلك المراهقة معتادًا، بنظرة ساخرة للرجل القصير مثل أغلب الفتيات السطحيات، كأنها تقول من خلالها لوالدها:

_ هل هذا القصير هو الذي سيحل مشكلتنا يا أبي!

كم أمقتُ غباءٍ وسطحية أمثالها لكني هنا من أجل شيءٍ أهم، لقد جئتُ لفعل الخير كعادتي في ذلك الجانب الذي ميزني به الله، ومن النظرة الأولى علمتُ أن ما هنا شيء أكبر من عمار البيت؛ فقد شممت رائحة موتهم ولكن ما أثار انتباهي هو أن تلك الفتاة كأنها ترى ما أراه، لم أتعجل السؤال عن هذا الأمر وبعد أن شربنا الشاي -الذي كان شيئاً كعادة ما تقدمه فتيات الجيل الحالي اللاتي لا يفقهن شيئاً بأمور الطبخ- بادرتُ بسؤالها:

_ لقد قال والدك أنك ترين أشياء غريبة، هل يمكنك إخباري عن الأمر؟

كانت تنظر حولها في خوفٍ، ثم قالت مترددة:

_ استيقظت منذ أيام شاعرةً بالتعب على غير العادة لكن رغم ذلك تحركت إلى غرفة أبي بحثاً عن الونس ولكي أعد له الإفطار قبل ذهابه للعمل، فوجدتهم هناك..

قاطعتها قائلاً:

_ من هم؟

قالت:

_ خمسة من المخلوقات كثيفة الشعر، دميمة الوجه، بأنياب وذيول أيضاً، ولكنهم أقرب لنا في تكوينهم، أما الآخر فقد كان ضخم الجثة وشديد الخبث، يغير شكله كلما أراد. حدثت بينهم مشادة سريعة، وقتها أمسكت بقمي كي أمنع صرخاتي من الخروج لكن ذلك الكائن كان قد لاحظ انفعالاتي، وكان يعلم أنني أراهم فقتلهم بلا رحمة، كانت دماؤهم داكنة ولطخت الجدران، لم أتحمل ما شاهدت فسقطت فاقدة الوعي وبعد أن استيقظت لم أجد أثراً لهم لكني ما زلتُ أرى دماءهم، ثم وجدته ينتظرني أمام غرفة أبي لكن وجهه بتلك المرة كان وجه خنزيرٍ ينتظر مهاجمتي. نظرت إلى والدها وأنا أفسر له بعض الأحداث قائلاً:

_ إن كان ما أظنه صحيحاً فهو جني علوي وقد قتل عمار المكان، وإن كنت أرجو ألا يكون أحب ابنتك، إن تلك الأمور ليست كثيرة الحدوث لكنها تحدث على أية حال، وما تقوله ابنتك صحيح فدماؤهم على الجدران لكنك لن تستطيع رؤيتها. ثم سألته:

_ هل تجمعكم عداوة بأحدٍ له صلة بالعالم الآخر.

رداً والدها:

_ أنت تعلم أننا منذُ توفيت والدتها ونحن منغلقان على أنفسنا، من سيحمل لنا عداوة مثل تلك؟!!

في تلك المرة سألت الفتاة:

_ هل لك أية تجربة أخرى غير هذه؟

ارتعشت شفتاها وهي تجيب مرتبكة:

_ لا.. ليست هناك أية تجربة.

بهذه المرة كنت أعلم أنها تكذب.. لكن لماذا؟ ومن قام بتحرير العين الثالثة وجعلها ترى عالم الجان؟! تلك الفتاة ستعاني؛ فعلى حد علمي من مرّ بهذا الأمر لا يعود أبداً كما كان، فعلى الأقل ستظل ترى سكان هذا العالم طوال عمرها.

قرأت الكثير من القرآن ولكن لم تظهر عليها أية شواهد مسّ، شعرت بغرابة الأمر فمن يقتل عمار المكان بالتأكيد سيكون هنا أطول وقتٍ ممكن لكن لا بأس بقليل من الانتظار، طلبت متردداً كوباً آخر من الشاي وعند دخول الفتاة لاحظت ارتعاشة خفيفة لكهرباء المكان، وكان هذا دليلاً على قدوم أحدهم، تسمّرت الفتاة وهي تنظر لشيء خلفي، لم يكن الأمر محتاجاً إلى كثير من الذكاء لأعلم أنه قد حضر تلك المرة..

جاسر

لقد علمت فداحة مخططي متأخراً، كنت أثق كثيراً بقدراتي لكن مراهماً صغيراً يملك شيطاناً سجيناً بداخله وقف أمام خططي ولا بديل أمامي إلا استرضاءه، فقد بات يعرف أسراري وجزءاً من خطتي القادمة، إن كان الصغير داهية فكيف سيكون حال حارس المطعم؟!

وقف أمامي مزهواً بنفسه ظناً منه أنه قام بتدمير ساحر مخضرم، فقال بغرور:

_ هل تعلم أي شيء عن ذلك المطعم؟ بالتأكيد لا تعلم، ولا تعلم أن جزءاً منه بداخلي، لو كنت كبيراً مثلك ما كنت سأصدق أبداً أن هناك مطعماً يختار ضحاياه بنفسه وأن كل ما يفعله هو أنه يتركك تطلب الطعم الذي تريده فيقدم لك لعنة جاهزة، هل تعلم أن ذلك الشيطان بداخلي كان أول وجبة أكلتها بذلك المطعم اللعين!

انتفض جسده وهو يكرر منفعلًا:

_ هل تعلم أن ذلك الشيطان بداخلي كان أول وجبة أكلتها بذلك المطعم اللعين!

لقد كان يشعر بالحماسة؛ لذلك تضاعلت وانكشمت بمقعدني كي يستمتع بلعبته فأكمل قائلاً:

_ هل تظن أنني أشعر بالسعادة وأخي المسكين يحاول استرجاع حبيبته من تلك الفجوة التي أوجدها ذلك المطعم؟

كان ما يحكيه مثيراً وجديداً؛ لذلك سألته مستفسراً:

_ أية فجوة؟

قال بحزن واضح:

لقد اختار المطعم أخي، اختار أن يكون حارسه، أما سلمى فهي حب -
عمره ولكن المطعم اختار أن يفتح لها عالمًا آخر يحتله سكان عالمنا
الأوائل، إنهم يسبقون الجن الذين تخشاهم ويمتلكون ما بإمكانه أن
يدمر حياتنا تلك لكنهم لا يستطيعون المرور إلى عالمنا، أخي يقول إنهم
لم يعودوا مهتمين بعالمنا؛ لأن الزمن في البعد الذي يعيشون به يمر
ببطءٍ جداً فبينما كبر عمر أخي عشر سنوات لم تكبر فتاته إلا عشر
فقط هناك، لقد اختارت الفتاة أن تضحى بحياتها لتتقذ أخي، ثوانٍ
ضحت بحياتها مقابل إحضار ساحرٍ قديم إلى عالمنا، ساحرٍ بإمكانه أن
يحارب الجن نفسه..

قلت في فضول:

_ من هو؟ وكيف عاد؟

قال في حذر:

_ يدعى الحظر، ويقال إن الأوائل اختطفوه إلى ذلك البعد، وقد استبدلت الفتاة
نفسها به بعدما تلفتت بعهد الاستبدال الذي لا يحفظه أحدٌ غيرهما - كي يساعد
أخي بمواجهة أحد الشياطين.

سألته مرة أخرى:

_ منذ متى عاد الحظر؟

أجاب الفتى:

_ عشرة أعوام، لماذا تسأل عنه؟

قال في توتر:

_ إنه هو... الغريب، إن ما يريد أخوك هو الحظر، وأنا أعلم كيف أصل إليه،
والآن لا تضيع وقتنا، يجب أن نذهب إلى أخيك والآن!

لم تكن أمام الفتى فرصة للرفض، كان يعلم شيئاً هاماً وهو أن المطعم لن يظهر
إلا لمن يريد الظهور لهم، قام بحك رأسه بيده شاعراً بالحيرة لكن سرعان ما
حسم تردده وهو يفك وثاقه قائلاً:

_ هذا لا يعني أننا في الجانب نفسه، أقسم لك أنني لو أصاب أخي ضرر سألاحقك
حتى الجحيم، كما أنك ستتعهد بأن تطلب الطعم الذي سأختاره لك.

قلت له:

_ أيُّ طعامٍ تُريده سأكتبه.

قال بكثير من الشر:

_ حسنًا، ستطلبُ قرينًا آخر.

نظرت إلى قريني الذي بدأ يستفيق، فرأيت في عينيه الخوف وهو يصرخ بي:

_ لا توافقه، لا تقم بخيانتني.

كان ما يقوله الفتى مجنونًا وعبقريًا في نفس الوقت، لن يستطيع أحد ملاحظتي بعد قتل قريني الحالي.. لكن هل حقًا يستطيع المطعم أن يقوم بتلك الأمور السحرية؟ لم يقم أحد الروحانيين أو السحرة بالتفكير في شيءٍ مشابه من قبل، أخشى أن تكون في ذلك الأمر نهايتي لكن الحقيقة أنني أعجبت بتفكير تلك الأسرة..

حدثته بفضول:

_ أريدُ منك أن تقصَّ القصة من بدايتها.

قال:

_ لقد ظهر المطعم لأخي وأصدقائه وطلب كلَّ منهم وجبة استثنائية على سبيل المزاح؛ فالأول طلب لحمًا بشريًا فتحول إلى أكل لحوم بشرية، والثاني سكن الشيطان الذي أكل قطعة منه جسده، حاول أخي الانتصار على ذلك الشيطان وإعادة صديقه كما كان لكنه كان يفشل بكل مرة حتى قامت حبيبته بتحرير ذلك الخبيث الذي يدعى الحظر من البعد الآخر -الذي تسكنه كاننات قديمة تسبق الجن أنفسهم- ولم يكن أمامها إلا عهد الاستبدال -الذي يجب أن ينطقه الطرفان بلا إجبار- لتقبع هي في البعد الآخر، ويعود الحظر بعد قرون لمساعدة أخي، ثم يسرق كتاب السحر القديم الذي كان يسعى له الشيطان، أما أحمد فقد أصبح مصيره أن يدير المطعم اللعين للأبد محاولاً استعادة سلمى في كل يوم.

كان ما يقصُّه مفاجئًا على عكس ما نسمعُ في عالم الروحانيين، فقد كانت الحكايات التي تصلنا تحكي عن شخصٍ صلب وشرير بالفطرة، يكره السحرة والبشر.

تركت قريني مقيدًا بالغرفة، ثم توجهنا إلى ذلك الشارع، كنت مع كل خطوة أخطوها أخشى رؤية أحد الجان أو السحرة لي، كنتُ أعلم أن هناك جنياً وساحراً يرصدان الأماكن السحرية في الأوقات العادية، وأوقات مثل هذه تصبح تحت حصارٍ غير مرئي من السحرة وأعوانهم، كنتُ خبيراً بفك الرصد لكنني كنتُ أشك أن المطعم مكان سحري يختلف عن الأماكن المرصودة، وما كان يؤرقني هو أنه يختار من يظهر لهم.

توقف زياد أمام مبني مظهره لا يوحي بشيء، فسألته:

_ هل هو هنا؟

قال ببرود:

_ نعم، فلننتظر ساعة واحدة وإن لم يظهر فهو لا يريدك.

سألته في قلق:

_ هل يمكنك الاتصال به؟

قال بابتسامة ساخرة:

_ ليس أخي من سيختار... إنه المطعم.

بقينا نرقب الموقف بزوج من الأعين الخائفة ومثلها من الأعين اللامبالية.. لكن بعد مرور ربع ساعة لاحظت ارتجافة الأضواء بأعمدة الإنارة، فقلت له:

_ لقد جاؤوا.

قال ببرود لم أحسده عليه:

_ أعلم.

_ عددهم كبير..

قال وهو ينظر حوله:

_ حتى الآن ثلاثة عشر، من ضمنهم قزمين ومارد وغادرنا جنِّي أزرق.

كنت أعلم بسرعة قبيلة أفراد الجن الأزرق، سيخبر قومه ولن نستطيع الإفلات منهم؛ لذا قلت له:

_ يمكنك المغادرة، لا أريد أن أتسبب في موتك بمعركة لا ناقة لك فيها ولا

جمل..

من بعيد ظهر بعض رجال الروحانيين، كانوا خمسة ومعهم خدامهم وهذا يعني أن المعركة محسومة، تبادلنا النظرات، وقبل أن يهجم أيُّ منا ظهر المطعم أمامنا، كان ظهوره مبهرًا، تلالأت أنواره في المكان مضيئة ما حوله، وخرج منه شاب في نهاية العشرينات، يرتدي بنطال جينز وقميصًا لبنياً يميل إلى الزرقة، شعره قصير جدًا.

أشار بيده قائلاً للروحانيين وأتباعهم من الجن:

_ أعلم أنكم لم تقوموا بطلب خدماتنا لكن فلتعتبروا ما طلبته لكم هو وجباتٍ مجانية، وسأقدمها عبر خدمة الدليفري..

لتخرج من خلفه ثلاثة ذناب كبيرة الحجم، يبلغ طول أقصرها طول حصان بالغ، ولأن الروحاني المبتدئ يعلم أن الجن يخشى الذناب فهو يعلم كيفية إيقافهم.

قاموا بالقاء تعاويذهم لتحوطهم النيران وتمنع وصول الذناب إليهم، ليشير لنا ذلك الشاب قائلاً:

_ تفضلاً بالدخول.

تحركنا مسرعين، قام زياد بعدها باحتضانه بقوة، وبعد أن انتهيا مدَّ يده نحوي مصافحاً وهو يقول:

_ أحمد... مدير هذا المطعم.

قلت له:

_ وأنا..

قاطعني قائلاً:

_ أعلم اسمك.

ثم أشار إلى وجبة مغطاة وهو يقول:

_ مرحباً بك في عالمي، فلنتفضل وجبة لك من اختياري.

نظر له زياد بحنق وغضب واضح، وكان هذا يعني أنني وقعت فريسة للمطعم وصاحبه.

بدر

خرج رئيس المجلس الذي ينادونه بلقب "الروحاني الأكبر" وحوله أحد عشر رجلاً وامرأتان، كانت ملابسهم مختلفة الألوان.

أخبرني صديقي هامساً:

_ ذلك الذي يرتدي الأسود هو زعيم العالم السفلي، تمنى من قلبك ألا تكون معهم فوجودك معه يشبه وجودك في الجحيم نفسه.

كانت ملامح الضيق تظهر على وجه رئيس المجلس في البداية إلا إنه سرعان ما أخفاها وهو يقول:

_ إيماناً منا بتضحيات الروحاني الأول، ولأن جمعنا بدأ به فالיום نعيد ما بدأ به عالم الروحانيين، يوم الاختبار يعتبر أساس جماعتنا وقوتها، من سينجح في الامتزاز سيصبح معنا وسيتأخى الإس والجن في حدثٍ لا يعلمه غيرنا حتى نصبح يوماً ما سادة هذا الكوكب، وأبشركم بقرب ذلك اليوم. الآن سنختار أحد أصحاب الهبات لنبدأ به اختبار عالم الروحانيين..

ظهرت غرفة زجاجية كانت بإحدى الزوايا، وأشار الحاكم لذلك الفتى الأشقر ليتحرك واثقاً من نفسه، دخل إلى منتصفها فظهرت حوله هالة سوداء اللون تلك التي أخبرتني عنها نور- وأخفته تماماً عن الأنظار، ليشير رئيس المجلس لأحد

معاونيه والذي أشار بدوره لشاب قصير تحرك بدوره باتجاه الغرفة، قبل دخوله
بثانية أو اثنتين تحول جسد الشاب قصير القامة إلى جسد أسود مشعر، ذا أطراف
أطول من المعتاد، وملامح تخبرك أن هذا الجني الصغير في العمر مليء بالشر
الخالص.

بعد دخوله حاول الدخول إلى جسد الفتى الأشقر، ثم اختفى بداخله لتخرج من بين
شفتي الفتى صرخته الأول، معلناً امتزاج كليهما بصرخة ميلاد جديد.

قال لي صديقي صاحب العوينات:

إنَّ هذا الطقس يشبه ما فعله الحيوانات عندما تبول في منطقتها، إنه يخبر
باقي الجن أن ذلك الجسد مسكون، أو كما يقول أبي أن الجسد المخترق ضعيف
ويسهل اختراقه مرة أخرى؛ لذلك يقاوم البعض حتى يحصلوا على جني قوي،
ولأنَّ الرجال يملكون سر الكلمات فالجن يجب أن يمتلكوا شيئاً بالمقابل ولم يكن
هناك أعلى من أجسامنا.

كان الحفل ممتعاً وشعرتُ بعد دقائق أن هذا هو مكاني الذي يجب أن أكون به،
حتى جاء دوري ودخلت إلى الغرفة الزجاجية، كنت أشعر بالفضول تجاه هالتي،
وعندما دخلت لهنالك شعرتُ بالفخر فقد كانت مختلفة عن الجميع، كانت مائلة
للبياض، أشار الروحاني الأكبر للجني القريب من الغرفة بالدخول واتخذت قراراً
بداخلي ألا أسمح له بالدخول إلى جسدي، هنا ظهرت الصدمة واضحة على وجهه
وكأنه رجلٌ حاول المرور خلال جدارٍ من الصلب، ومن بعيد وقف أحد الرجال
يصفق بقوة، لم أكن أعلم من هو لكن الروحاني الأكبر كان ينظر له براهية
وأشار لجني آخر ليتوالى دخول الجان إلى الغرفة الزجاجية ثم خروجهم
منهزمين، حتى جن العالم السفلي فشلوا في اختراق جسدي بينما أنا أبتسم
وأشعر بفرحة طفولية.

التفَّ مجلس قادة القبائل حول الحاكم، ليقول بعدها:

سنعطي للفتى فرصة أخيرة، وإن فشل الجني في اختراقه سيتم رفض انضمامه
لنا، فلن نسمح بتكرار الأمر مرة أخرى.

شعرت بالقلق وأنا أقول لنفسي:

هل الانتصار يُعدُّ لبعض الأشخاص هزيمة، تعلمت أن الحياة قاسية بأوقات النصر
على أحدهم.

ولخوفي من ألا أنضم إليهم لم أقاوم تلك المرة، ليخترق الجني جسدي، انتظر
قادة المجلس قليلاً، ثم نظروا لبعضهم متعجبين، وقتها تذكرت أنني لم أسمح له
أن يصرخ من خلال جسدي، فصرختُ أنا بصوت عالٍ ليخرج بعدها ويسأله
الحاكم:

من الذي أطلق الصرخة؟

شعرت بالخوف لكن الجني قال:

_ أنا، لقد كان الأمر صعبًا لكنني فعلتها.

كنت أعلم أنه يكذب، ولم أكن أعلم سببًا لذلك.

ابتسم ابتسامة خفيفة عندما قال رئيس المجلس بتوتر:

_ لقد أصبحتما من الروحانيين الآن، فلتنطقا العهد.

بعد أن تلونا العهد عدت إلى مقعدي، تحاشاني صديقي فسألته:

_ ما بك؟

قال في توتر:

_ إنَّ ما حدث معك يشبه ما حدث مع الغريب، لقد رفض امتزاج جسده مع كل

الجان، ولم يستطع أحدهم عبور جسده، حتى الروحاني الأول.

قلت له:

_ ما الغريب في ذلك؟ لماذا يخشونه؟

قال بصوت هامس:

_ يقال إنه ساحرٌ فرعوني لم يلتزم بتعاليم الروحانيين، وأنه وصل لكتب السحر

الأولى، لم يستطع أي روحاني الاقتراب منه أو أذيته وهذا ما جعل الروحاني

الأول يحاول إيقافه بالقوة فكانت النتيجة هي موته، كان الأمر كارثيًا في مجتمع

الروحانيين لولا أن الغريب اختفى.. لكن قبل ذلك تحدى الجميع قائلاً وعده

الشهير:

_ سأعود يومًا، إن لم يكن بجسدي سأحلُّ بروحي في جسد أحد أحفادي.

قلت له بتوتر:

_ هل يظنون أنني حفيده؟

نظر إلى قادة المجلس -الذين يتشاورون وهم ينظرون نحوي- مجيبًا:

_ بل أظن أنهم قد حسموا أمرهم ويعتبرونك خليفته، يبدو أنك ستقضي أوقاتًا

شاقة هنا، هذا إن عشت لوقت طويل.

حرب

لم أكن من محبي حضور حفل الاختيار السنوي لكني لا أستطيع أن أقول سوى أنه كان حفلًا ممتعًا، راق لي بعكس المتوقع، عدت إلى المنزل حاملًا هم المعركة القادمة فيجب أن أمرَّ بكل هذا حتى أعلم من قتل زوجتي، ولا سبيل إلى ذلك إلا بعودتي لعالم الروحانيين، هناك أشخاص لا يريدون عودتي وهذا يقلل من البحث، وما يفيدني هي تلك الأخبار التي تقول أن الغريب قد عاد، هذا يعني أنه سيبنى جيشًا كما وعد حتى يدمر عالم الروحانيين، في الحقيقة لن انضم إليه أبدًا فما فعله لا يقل جرمًا عما فعله بي هؤلاء وما يفعلونه كل عام بعشرات من المراهقين والمراهقات أصحاب المواهب، لقد ضاعت طفولتهم وحيواتهم في عالم جانبي بعيد عن العالم الحقيقي، كم من الأرواح المجانية يجب أن ندفع مقابل أن يعيش القادة حياتهم فوق كرسي الحكم؟

أمَّا الآن فيجب أن أضع تركيزي الكامل في معركتي الثانية، فبالمعركة القادمة سأكون ضد اثنين هما أقوى وأكثر شرًا من ذلك البانس الذي ألقاه الحظ في طريقي، فتحت كتابًا قديمًا، ثم شعرت بقدم أحدهم قبل ارتجافة مصابيح الكهرباء وقد كان حدسي حقيقيًا، كان قزمًا من أقزام الخدمة.

قال بتودد:

_مرحبًا، لقد جئت في سلام.

سألته قائلاً:

_ لماذا جئت؟ ومن أرسلك؟

أخرج خطابًا من يده وهو يقول:

_ سيصلون إليك عندما يكون ردك جاهزًا.

لم يحتج الأمر لكثير من الذكاء حتى أخمن أن ما بالخطاب أمر متعلق بالغريب وقد كنت محقًا.. لكن ما لم أتوقعه هو التهديد بنهاية الخطاب "إن لم تنضم إلينا وتبلغنا بقبول عرضنا الكريم؛ ستصبح من أعداء الغريب." أي حمقى هؤلاء حتى يتحدثوا معي بتلك العجرفة والأسلوب المتعالي؟ ومن أين لهم بتلك الثقة في عودة رجل ميت؟، حتى إذا عاد، هل يظن هؤلاء الحمقى أنني سأنضم إليهم؟ ألم يكفيهم قتل أصحاب الهبات في صغرهم أم يظنون أن بعض الروحانيين لم يلاحظوا الأمر؟

بدأت في حرق الخطاب.. لكن قبل نهايته لمحتُ جملةً صغيرة في ظهر الورقة.

(ملحوظة، نحن نعلم من قتل زوجتك.)

كان هذا كفيلاً بتغيير تفكيري؛ فأنا لم أعد إلى هذا العالم البانس إلا من أجل رجوع قوتي ولانتقام ممن قتلوا حبيبتي وزوجتي، لكن ما الذي يضمن لي صدقهم فالجميع يعلم سبب عودتي؟

شعرت بمأذر داخل عقلي، لم يتغلغل ببطء كما عهدته بل بقوة جعلتني أفقد اتزانتي للحظة، لقد جاء محذراً من قدوم أصحاب الجولة القادمة، طلبت منه سرعة الانتقال إلى مكان آخر، لتظهر الأرض بعد ثوانٍ أمام عيني لكنني وجدت رعد ونورسين على بعد خطوات أمامنا.

نظرت إلى مأذر متشككا وقبل أن أفهم ما يحدث وجدت خيطاً من النار ينبعث تجاهي، النار التي لا يستطيع مقاومتها إنس أو جان، إنها تأكل كل شيء، قمتُ بتفاديها لأجد حلقة نارية تنبعث من حولي للأعلى، لقد نجحت حيلتهم المزدوجة، قاموا بإبعادي عن خادمي وأسروني في حلقة نارية بحيث لا يمكنني الهرب أو الانتقال عبرها إلا بإصابة بالغة، وكان مأذر في وضع معقد أيضاً.

اقترب رعد من الحلقة النارية التي استطالت وارتفعت وأشار إليها حتى ضاقت أكثر، ظننت أنه سيغلقها علي لأموت محترقا وهو يقول لنورسين مشيراً نحوي:

_ هل هذا هو حرب الذي يخشونه!؟

إنه مثل جردٍ يمكننا إحراقه متى شئنا.

ثم أشار إلى الأرض فشعرت بحرارتها، واقتربت نورسين من الحلقة النارية لأرى ثعابين سوداء تحيط بها من كل جانب، اللعينة لم تكتف بالخادم وأحضرت ستة آخرين حتى يحموها مني، كانت تتوقع معركة رهيبه لكنني خذلتها.

قالت في تكاسل:

_ أنت لا تعلم من أنا، بالتأكيد لا تعلم، كنت دائماً تصل إلى ما تريده.

لسانها العربي جعلني أتشكك في أمرها.. لكنها قالت في برود:

_ لم يعد مهما أن تعرف من أنا، المهم أنني أعلم من أنت وأعرف ما فعلت.

ثم قالت لرعد صاحب التقاسيم الباردة:

_ هل تمنحني شرف قتله؟

ابتسم لها وهو يشير للأرض من تحتي، لتنشق وتخرج منها الأبخرة الساخنة، كنتُ في أسطوانة من اللهب والنار، إن لم تسارع نورسين بقتلي سأسبقها أنا لنقص الأوكسجين من حولي، لم أكن مستعداً للموت ولا أظن أن أحداً يذهب للموت مستعداً، للحظة كانت ستسقط مني دمعة لكنني تماسكت، شعرت أن كل ما فعلته في حياتي هو السعي نحو اللاشيء..

أحكمت نورسين قبضتها مشيرة للأسطوانة النارية لتضيق بتسارع أكبر، لم تشبع اللعينة فضولي فقلت لها:

_ من أنت؟

صرخت ضاحكة بلّوم:

_ ستعلم في الجحيم.

وقتها تساءلت: هل تحق لي توبة أم أنا فرعون وسط نيران؟

شعرت بيد تنتشلني إلى الأعلى لأتفاجأ بمادز الذي تحرر من قيده، كانت الصدمة بادية على محياهما، لكن وقبل أن يلقي أية تعويذة كنا قد انتقلنا لثلاث مرات متتالية، كان ماذر ينتقل من نقطة لأخرى محاولاً الهروب من تعقبهم، لم أستطع فهم كيف فعلها لكن هذا ليس بمهم الآن، ما يورق ذهني هو معرفة ما الذي كانت تعنيه تلك العاهرة..

سألني ماذر بقلق واضح:

_ كيف حالك الآن؟ وكيف استطاعوا التغلب عليك؟ أنت يا حرب! كانوا يقولون إن بإمكانك دحر قبيلة من الروحانيين وجيش من السحرة!
قلت له:

_ لا أعلم لكن تفكيري كان بطيئاً، هل تظن أن سحرها يمكن أن يصل إلى هذا الحد؟

قال بعد تفكير قصير:

_ أظن أنك تفكيرك بطيء حتى الآن، إنك حتى لم تلق بتعويذة واحدة يا حرب، هل تظن أنك ستأتي بحق زوجتك وأنت بهذه الحال؟ لكن قبل أي شيء يجب أن تُخبرني بمن تشك وكيف ماتت.

شعرت بالحزن يطبق على صدري وأنا أقول:

_ أشك برئيس المجلس نفسه، وقادته الستة.

نظر لي بتعجب لم يستطع إخفاءه وقال:

_ الروحاني الأكبر.. إذاً لماذا جئت طالباً العودة؟ أنت تلقي بنا في قلب الجحيم.

أجبتة في برود:

_ أنت تعلم أنني أريد إحداث تغيير في طريقة اختيار الروحانيين، وبعض القوانين الأخرى الخاصة بتنظيم اختيار الروحاني الأكبر وامتزاج الجان بالإنس.

قال في غضب:

_ من أين أعلم بكل هذا؟

نظرت له متعجباً:

_ أنت صديقي قبل أن تكون خادمي من الجن يا ماذر، بالتأكيد قلت لك بعض الأمور.

قال ماذر وهو يقاوم طبيعته النارية:

_ أية أمور يا حرب!؟

كل ما سمعته هو أشياء عن تمردك، عن محاولة قلبك نظام اختيار الروحاني الأكبر، ولم أصدق كل هذا.

_ لم أحاول قلب نظام الحكم، كل ما طلبته هو تغيير انتخاب الحاكم وأيضاً عدم وجوده في الحكم بعد عشرة أعوام.

ضحك ساخرًا وهو يقول:

_ أنت تعلم أن عشرة أعوام لا تعني شيئاً بعالمي، نحن وأنتم مثل ذبابة مع سلحفاة، إنا خالدون بالنسبة لكم.. لقد حكمت علينا بالموت يا حرب، هل تظن حقاً أن من ذاق شهوة السلطة ستركها!؟
إنك واهم، بل لو كان عمره ألف عام لتمنى أن يحكمهم من صرخته الأولى وحتى بعد أنفاسه الأخيرة.

سألته في قلق:

_ إذا ما الحل يا ماذر؟

أجاب بفتور:

_ لا حل أمامنا إلا الموت معاً أو الهروب لكن النجاة مستحيلة، لن يتركوك تهدد عرشهم.

قلت له:

_ لكن لماذا قتلوا زوجتي بعد ابتعادي عن عالم الروحانيين وختمي بختم المنسحبين؟

_ وكيف قتلوها؟

سأل ماذر وهو يلتفت حولنا بتوتر، فقلت:

_ كانت ليله شتوية، خرجت من البيت وقتها، تأخرت في العودة للبيت وشاهدت ناراً مشتعلة من مسافة بعيدة فأسرعت متعجلاً العودة، لأجدها مشتعلة ببيتي، لم أنتظر إخمادها ودخلت باحثاً عنها والنار تحيط بي من كل جانب، فتحت غرفة النوم لأجدها متفحمة، لم تتبق منها إلا عظامها البارزة فقط، جذبوني للخارج لكنني لم ولن أنسى ما شاهدته ما حييت.

لم يقاطعني ماذر حتى بكيت، فقال مغيراً مجرى الحديث:

_ إذا ما العمل الآن؟

قلت بلا تردد:

_ يجب أن نذهب لأبكم لأعلم سبب تأخري في اتخاذ القرار وبطء التفكير أيضًا.

قال لي متسائلًا:

_ هل تتذكر تعويذة انتقال؟

وعندما تأخرت في ردي قال بصوت يشوبه الخوف:

_ لا بأس، سأنتقل بك أنا، ولكن صدقتي لم يعد لنا أي أمل إلا الدعاء.

الروحاني الأكبر

في الماضي كان مجتمع الروحانيون هادئًا مثل سطح بحيرة في ليلة صيفية ناعمة، حتى أن هناك عشرات القادة من الذين يحملون نفس لقبني لم يمروا بمعركة واحدة، أما أنا فقد جئت في عصر اشتدت به المحن، ولولا قوتي وتمسكي بقوانيننا لكنا على حافة الانهيار وبزغ ذلك الخطر من مرقدته، لقد عاد الغريب بل هناك بعض الأقاويل بأنه امتلك كتاب سحر الأوائل منذ أعوام حتى قبل أن يقتل جاسر الروحاني الأخير الذي سبقني في الحكم- منذ فترة وأنا أشعر بقرب عودة الغريب إلى عالمنا، جاسر وأمثاله مُغيبون يغلبهم التهور، كان شابًا قويًا وكنت أتمنى أن يكون قائدًا معي يومًا ما لكن قتله للروحاني الأول كان أغبى ما فعله حتى لو كان محققًا في فعلته، الآن يهرب كالجرذ وتلفظه السماء والأرض، لن أرحمه عندما أجده وإلا سأكون مقتولًا أنا الآخر، سيدوق أقسى عذاب وأمام الجميع لكنه ليس بقضيتي الأولى الآن فالقضية الأساسية هي ذلك العائد من الموت..

هل حقًا العربي الذي جاء من الصحراء ثم ابتلعه وحش أسطوري هو الغريب أم إنها أيضًا أسطورة؟ هل حقًا عاد من الموت عبر ذلك المطعم الأسطوري؟ أه لو يعلم صاحب المطعم مع من يلعب، إن آخر مشاكله ستكون نحن الروحانيون، الستة الكبار كانوا معي بالأمس وطالبوني بأن يهجموا جميعًا على أعوان الغريب وقبلها أن يدمروا ذلك المطعم، لا يعلمون أن تفوقنا مهمًا زاد فله حدود، وأن البعد عن الأماكن أفضل لنا ولأصحابها، كانت أعينهم تلمع مثل النسور بالأخص قائد قبيلة السحر السفلي، ولولا أن الروحاني الأول طالب بوجود تلك القبيلة في مجتمعنا لكنت طردتهم، لن أسمح بانتصار الغريب علينا حتى لو جعلني هذا أهتك حاجب السر والستر ونخرج للعلن وأقتل جميع السحرة الصغار أنصار الغريب، ورغم شهرتي بالصبر إلا إن صبري كاد ينفد..

دخل قائد السحرة السفليين، كان مبتسمًا وهذا ما جعلني أشعر أنه جاهز لتنفيذ الأمر، وبعد أن اقترب زادت ابتسامته، ثم قال:

كل شيء تم.. تبقى شيء واحد فقط هو أن تكمل الأمر، وسنهي عودة الغريب قبل بدايتها.

الكثير يظنون أن الخوف لم يدق بابي لكن لو يعلمون أن أكثر ما أخشاه هو ذلك الشخص الذي يقف متشاحًا بالسواد، أحد أحفاد من اكتشف الجانب الظلامي بين الجن والبشر والذي خشي منه الروحاني الأول، فقام بضمه إلى جماعتنا خوفًا من تكوينه جبهة معادية، ورغم كل مساوئ قبيلته إلا إن حمايتهم لبعضهم تشبه القبيلة القديمة، فهم لا يقبلون بهزيمة أحد منهم وينتقمون لموت أقرانهم كأنهم ولدوا من رحم واحد، لا يكون الروحاني الأكبر كفنًا إلا بدراسة تاريخهم ورد فعلهم.

قلت له بعد أن لاحظ انشغال عقلي:

إذا فلتجهز أنت ورجالك ونساء قبيلتك.

نور

كان والدي يرتجف مثل ورقة في الخريف- ممسكًا بيد الشيخ محمود الذي انتصب واقفاً عند ظهور الكائن وهو يردد بعض الآيات القرآنية، حاولت أن أتماسك وأنا أقوم بفقدان الوعي، كنت خلفه مباشرة ولم أحاول حتى التراجع للخلف، جسده الأسود تبرز منه أربعة من الأذرع السوداء البشعة، ونبت أسفل ظهره ذيلٌ معقوف يشبه ذيول الخنازير، مع أعين حمراء في مؤخرة رأسه بلا بؤبؤ، قال للشيخ محمود بصوت غليظ كأنه قادم من كهف مهجور:

إن ما يجب أن تفعله هو أن تغادر بلا عودة إلى هنا، وإن ظننت أن بإمكانك مواجهة مارذ من الجان فسأخبرك بشيء واحد فقط، أنا لست وحدي، نحن سبعة من قادة العشائر.

ثم صرخ قائلاً:

هيا، اخرج وبلا عودة.

حاول الشيخ محمود أن يتماسك وهو يقول:

ل..ل..ل.. لم أصدق أكاذيب من قبلك، فكيف تريد مني تصديقك؟ اخرج أنت من هذا البيت وإلا أحرقتك الآن..

رد عليه الجني ساخرًا:

تحرقني!

ثم أشار بيده خلف ظهره، ليظهر عشرات من الجن يملئون المكان وهو يقول:

_ هل تقصد (تحرقتنا)؟

قال الشيخ محمود بارتجافةٍ لم يستطع إخفاءها؟

_ من أنت؟ ولماذا جئت إلى هنا؟ ولماذا تلك الفتاة؟!

تحركَ الجنى نحوه في خطوات بطيئة جعلت الشيخ محمود يرفع صوته بالقراءة.

_ هل تظنُّ أنك في موضع يسمح لك بالسؤال؟ أنت مجرد عبد لي تطيع أو امري فقط أيها القصير، ويمكنني أيضاً قتلك متى أردت.

ثم أدار رأسه تجاهي، وقال بغضب جعلني أقع على الأرض صارخةً بفزع:

_ أما أنتِ فلن أنتهي منك إلا بعد أن أعلم من يستخدمك لرؤية اجتماعنا، سنذوقين من العذاب ألواناً مختلفة، لن تعيشي يوماً سعيداً حتى لو كنتِ ابنة الغريب نفسه.

قال أبي مرتعشاً:

_ إنها ابنتي أنا، أظنك مخطئاً.

قال لأبي غاضباً:

_ يبدو أنك لم تحسن تربيتها أيها العجوز لذلك تستحق التأديب.

وألقى للشيخ محمود بشيء لم أعرف ماهيته، ثم اختفى بدون أي مقدمات ليختفي باقي الجن معه ويسقط أبي على الأرض بلا حركة إلا من عينيه.

صرخت طالبة العون لكن الشيخ محمود أسكنني وهو يقول:

_ لن يستطيع أحد نجاته.

قلت له:

_ لماذا؟! يجب أن نذهب به إلى المشفى.

قال بهدوء:

_ بل يجب أن نجد حلاً لهذا الشيء.

نظرت للشيء في يده؛ كانت أفعى نحاسية تأكلُ ذيلها، مصنوعة كطبقات تعلو بعضها ومنقوش عليها بعض الحروف الغريبة.

_ ما هذا؟

_ إنه طلسم، ولن يعود والدك كما كان إلا إذا قمت بفكّه وحله.

قلت في رجاءٍ واضح:

_ إذا ماذا تنتظر؟

قال بهدوء لم يستطع تهدئة روعي:

_ سأقوم بحله لكن الأمر ليس بهذه السهولة؛ فهذا الجندي إن صدق ظني هو زعيم لقبيلة سفلية.

أدخلنا أبي غرفته، ثم خرج الشيخ محمود وهو يقول:

_ لن أستطيع أن أبقى معكما هنا.. لكن سأمر كل يوم، ويُفضل أن تحضري أحدًا من أقاربك ليجلس معك.

قلت له:

_ هل سيعود؟

قال بصوت منخفض:

_ إنه لم يغادر، إنه هنا..

أنهى جملته لنسمع ضحكةً خشنّةً من خلفنا، كأنه يؤكد ما قاله الشيخ محمود، فقلت مرتعبة:

_ أرجوك لا تغادر..

قال منهيًا الحديث:

_ في كل الأحوال يجب أن أغادر؛ لعلي أجد شخصًا يساعدني فقدرات هذا اللعين ليست هينة.

انتفض جسد الشيخ محمود مندفعًا للخلف، ليسقط على ظهره خارج الغرفة كأن رجلاً قويًا دفعه، لنسمع صوتًا يقول:

_ كان بإمكانني القائك بالخارج لكنني أشرت لأضعف تابع لي ليظل ملازمًا لك، وإن حدث له شيء ستجد طلسمًا آخر يخص أقرب الناس إليك، والآن اخرج!

خرج الشيخ محمود من الباب، وقبل غلقه قال لي:

_ لا تخافي، واذكري الله.

بداخلها قالت: إن الذي طلبته يا شيخ محمود من مراهنّة تركتها وحدها في مواجهة جنّي- لم يُخفِ خوفك وجزعك عنها.

الشيخ محمود

لا يعلم الكثيرون أنني متبحرٌ في عالم الجان لكن ما شاهدته اليوم كان من أغرب ما رأيت، وللمرة الأولى لست متأكدًا أنني أستطيع المواجهة مرة أخرى، في كل مرة واجهتُ الجن كنتُ دائمًا الأقوى أمّا اليوم فكنّت الطرف الأضعف، ولم أجد بجواري أحدًا من أتباعي، لقد هربوا جميعًا قبل ظهوره ولم أستطع إحضار أحدٍ منهم، حتى من أخذت خاتم العهد عليها لم تحضر، الأمرُ تلك المرة مختلفٌ كالمرّة الأولى التي كذبتُ فيها على أسرتي وأخبرتهم أنني ذاهبٌ للعمل بمحافظة بعيدة

وعند وصولي اتصلت من رقم آخر وأخبرتهم أن هاتفي أصابه التلف وسأصل بهم ببداية الشهر عند إصلاحه، يومها جلستُ بذلك الكهف المظلم منعزلاً، في البداية شعرتُ بخوفٍ شديد ورهبة لكن إرادتي في أن يكون لي خادمٌ من الجن فاقتُ خوفاً..

مرت الأيام الأولى هادئة إلا من شلال أفكار أغلبها غير ثابتة ومغلقة بالخوف، كان الشيخ عاصم يحضر لي القليل من الطعام، ولكنه كان يكفيني بل بعد ذلك أصبح فيض، في اليوم الثالث عشر سمعتُ أصواتهم، والغريب أنني لم أشعر بالخوف، في الليلة السادسة عشر سمعتُ صوتاً ناعماً يقول لي:

_ ماذا تريد أيها الإنسي؟

قلتُ في فرحٍ به بعض القلق والتعجب:

_ هل خدمتي من الجن امرأة؟

قالت بغضب:

_ خدمتك! هل تظنُّ أننا خلقنا لخدمتكم؟

قلت مسرعاً:

_ لا.. لكن هذا هو المسمى الذي قاله الشيخ عاصم، ولا أعرف غيره.

قالت غاضبة:

_ إذا، فلتأدب وتعلم قدرك وقدري.

سألتها:

_ من أنت؟ أقصد ما اسمك؟

لم ترد فقلت:

_ كي أناديك به.

قالت ضاحكة:

_ إن تأدبت سأحدث معك مرة أخرى، ولكن حتى ذلك الوقت سأتركك لخلوتك.

لم أكن أعلم ما يجب أن أفعله؛ فالشيخ عاصم أخبرني أن أكون شديداً حتى يهابني من سيخدمني، وتلك الجنية تطلبُ مني أن أتأدب أولاً! بعد يومين زارني الشيخ عاصم، وعندما لاحظتُ تغيري سألتني:

_ هل حضرت خدمتك؟

كذبت خائفاً لأنني أعلم رد فعله إن أخبرته بما جرى، وأنها اختفت ولم تظهر مرة ثانية، فقلت:

_ لا.. لا جديد.

تردد في سؤالي مرة أخرى، ثم حسم ترده و غادرني، وفي نهاية اليوم الثالث من غيابها ظهرت لي في أبهى صورها، وقالت:

_ تلك ليست هينتي الحقيقية لكني وددتُ أن أظهر لك بما يسر عينيك.

لم أتحدث بينما أنا أحرق بها مفكر بما تريده مني تلك الجنية.. لكنها حسمت الأمر قائلة:

_ أنا لست من خدمتك، ولن أكون.. أنا من الجن العلوي، لقد بحثتُ في أمرك وانتظرتُ أن يأتي شيخك، وعلمت من بعض الجن أنه يفعل ما يغضب الله، إن لم تكن تعلم فقد علمت الآن.

قلت لها غاضباً:

_ الشيخ عاصم يغضب الله، هذا كذب.

أقسمت على قولها وقالت:

_ إن كنت تصدقتي فأهلاً بك أخاً وصديقاً لي، أما إذا لم تصدقتي فلك كامل الحرية.. لكن سيكون هذا فراق بيني وبينك.

أصابتنى الحيرة، ولاحظت هي ذلك فقالت:

_ أعلم ما تمر به الآن، أنت تشعر أنك أضعت عمرك في خدعة؛ لذلك سأنتظر رداً بعد زيارته القادمة.

مرت الأيام بطيئة وأنا أنتظر الشيخ عاصم، حتى ظهر لي شيطان من الجن وهو يشير إلى اللبن الفانض مما يحضره لي الشيخ عاصم:

_ اركع وتوضاً بهذا.

نظرت له مرتاباً والشكوك تملأ قلبي، فكررها قائلاً:

_ اركع وتوضاً بهذا.

كنتُ أشعر بالخوف فلم يكن جميل الهيئة مثل الجنية التي سبقته بل قزماً أشد قصرًا مني، بعينين بلا بؤبؤين، شديداً الحمرة كأنهما نبتتا من الجحيم وأطرافه مقززة ومتسخة مثل خنزير مبحر في الوحل.

لم يجد رداً فقال:

_ ألا تريد خدمتك من الجان ...

قلت له بحسم:

_ لن أتوضأ؟

فقال بغضب:

_ لمَ قمت بقول العزائم كل تلك الفترة؟ أمن أجل اللهو يا فتى؟! إما أن تركع أو جعلتك تموت هنا راکعاً لي!

قلتُ بصرامة كما علمني الشيخ عاصم:

_ أنت من سترکع لي.

ضحك بصوت عالٍ وهو يقول:

_ من كاهنك أيها الطفل المدلل؟

قلت محاولاً إخافته:

_ الشيخ عاصم السيوفي.

قال بغضب وهو يقترب مني لدرجة جعلتني أشعر بحرارته:

_ عاصم! إذا سترکع في النهاية، ومن أخبرك أنه شيخ؟

كان الأمر واضحاً، من سيصمد سيملك السيادة بالنهاية؛ لذا قلت:

_ أنت من ستفعل وسترکع أمامي، أنا محمود حامد أمرك بذلك بحق كلمة لا إله إلا الله..

لا أعلم ما حدث بعدها، كل ما أتذكره أنه صرخ في وجهي، ثم حدثت رجفة كبيرة اهتز لها الكهف، وعندما استيقظت كانت تلك الجنية تضع بعض السوائل اللزجة على جبھتي، قلت لها بوهن:

_ ما الذي حدث؟

_ لقد هدم المعبد فوق رأسك كما تقولون ثم غادر، إن الجن لا يمزحون ونحن لا نتخطى الحد الفاصل بيننا وبينكم إلا لو سمحتم لنا بذلك، وأنت تجاوزته بمراحل.

سألته:

_ منذ متى وأنا هكذا؟

_ أكثر من أسبوع.

فزعت وقلت متذكراً:

_ يجب أن أطمئن أهلي حتى لا يغضبوا مني.

قالت متعجبة:

_ لا أستطيع فهمكم أيها البشر، لماذا سيغضبون منك؟ يجب أن يحمّدوا الله وأنت قبلهم لأنك بخير.

سألته في توتر:

_ وماذا عن الشيخ عاصم؟!_

_ لقد أخبرتك أن تبتعد عنه وألا تخاف منه.

أومأت برأسي موافقاً وأنا أقول:

_ متى سأغادر؟

قالت:

_ في الغد، سأحضر لك شيئاً خاصاً بك وبعدها ستغادر، أمّا الآن سأغادر أنا.

ودعتها شاكرًا، وبمنتصف اليوم عادت معها خاتمٌ وهي تخبرني:

_ أنا بنت ملك قبيلة كبيرة في عالمنا وفي عرفنا هذا عار، لكنني جئت لك بهذا الخاتم ويجب أن تخفيه عن الأعين، هذا عهدٌ بيننا ومتى أردت شيئاً ادعك خاتمك وستجدي أمامك في أقرب وقت، مرةً واحدة أو اثنتين فإن لم أحضر لا تطلبني في الثالثة لأن بها هلاكي وربما هلاكك أنت أيضاً.

سألتها:

ما اسمك؟ -

_ سيرهان.. هذا هو اسمي، لا تنسه.

وقد مرت أعوام كلما طلبتك يا سيرهان وجدتك أمامي، أمّا تلك المرة فأنت لم تحضري كعادتك، سأنتظر أسبوعاً ثم سأطلبك مرة أخرى، ولكن حتى ذلك الوقت يجب أن أعود لعاصم ربما أجد عنده حلاً.

جاسر

رغم أنني من طلب مقابلة صاحب المطعم وأني روحاني قدير إلا إن نظرات ذلك الشاب أثارت خوفي، يتغلغل داخل كياني ولا يتحدث كثيراً، يستكشف ما يريد أن يعرفه بكل صمت أو إن هناك من يخبره بشيء ما ولا أستطيع أن أراه.

بادرني مرة أخرى قائلاً:

_ لن ننتظر اليوم كله لاختيار وجبتك.

قلت في توتر مصحوب بالحيرة:

_ عندي سؤال فضولي؟

_ تفضل.

_ هل لو قمت بطلب شيء يخص شخصاً ما سيأتي من نفس الشخص حتى بعد موته؟

_ لا، للمطعم طريقته، لكن احذر أن تتحول لنكرومانسر.

كان ما يقوله مرعباً أو هو يتعمد إرهابي، فأنا أعلم أنّ تحوّل الساحر لنكرومانسر يفقده أهم شيء فينا نحن البشر، يفقده إنسانيته، مهما كان حجم الكارثة التي تحيط بي فأنا لا أريد معرفة أخبار وأسرار الموتى بأكل لحمهم أو عظامهم.

سألته:

_ هل حقاً يكون جسده موجوداً إن كان ميتاً من مئات السنين.

أجابني وهو يبتسم ابتساماً خبيثة:

_ هنا السحر أيها الروحاني، لن تأكل جسده لكنه سيكون بداخلك، بذكرياته، بأفكاره، وربما يسيطر عليك، حتى أنا لا أستطيع معرفة ما يمكن أن يحدث لكني أعلم أن كل ما يحدث يُفيد المطعم.

قلت له:

_ هل تعلم من أنشأ هذا المطعم؟

قال في برود:

_ هل يهكم عموماً من صنعه؟!

وجوده يسبق الأقدمين أنفسهم، أنت لا تعرفهم لكنهم الأوائل، والآن اكتب ما تريد أو لنترك الاختيار للمطعم.

أمسكت بورقة وكتبت الطعم الذي أريده، رفع حاجبيه للأعلى لكنه لم يكن متعجباً وقال:

_ هل أنت متأكد؟ تذكر أنك روحاني؟

قلت:

_ لا، لكن هل هناك فرصة أخرى؟

قال وهو يهز كتفيه:

_ لا، لا أظن أصلاً أن هناك فرصة.

لم يرغب كثيراً، ثم عاد بفطيرة لذيذة فسألته:

_ هل..

قاطعني قائلاً:

_ نعم، ما طلبته هنا، ألم أخبرك أنه السحر!

لكنه سحر مختلف عن سحر كم أيها الروحاني.

أكلت الفطيرة ممتعاً رغم أنها كانت شهية المذاق، ثم سألته:

_ هل بالإمكان أن تخبرني بما حدث لك؟

قال:

_ لم يحدث لي شيء فقط جئت لمستقبلي، هنا ما ولدت من أجله، ولا أعلم هل أنا من اختار المطعم في ذلك اليوم أو هو من اختارني؟

فقدتُ صديقين، واختفت حبيبتي في عالم موازٍ ولا أستطيع استرجاعها إلا إن رغبت هي في العودة ورغب البديل في الذهاب للعالم الآخر، ولا أحد يعلم بعهد الانتقال غير شخص لعين حاولت ملاحظته لعشر سنوات ولم أجده.

قلت له:

_ أظن أنه ابن الحظرد.

_ نعم هو.

قلت:

_ سنجده، أعدك بذلك.

قال ضاحكاً:

_ أنت شخص هارب وتعد بما لا تستطيع فعله، هل تظن أنني طفل صغير أم أنني حبيبتك التي وعدتها أن تعود من الخليج بعد عام محملاً بالأموال لتتقدم لخطبتها! شعرت بالحرَج لكن ما يقوله كان حقيقياً؛ فأنا لا أملك سوى مشاعري الطيبة والعالم لا تكفيه النية الطيبة.

عاد أخوه من الداخل وهو يقول لأحمد:

_ هل هناك طعام لا يقوم بتحويلني إلى مسخ من مسوخك؟

نظر له أحمد بغضب وقال:

_ ألم أحذرك من القدوم للمطعم؟!!

هناك طعام في غرفتي، أتمنى أن يمسحك إلى شخصٍ يحمل مقداراً من الذكاء، ولا تعاود زيارة المطعم مرة أخرى.

شعرت بذلك الشعور أثناء حديثهما -الذي لم ينفك عن مرادتي طوال تلك الأعوام السابقة- بكوني وحيداً بلا أخ وبلا صديق، ابتسمت لرؤيتهما يتصارعان مثل الديكة، من الغريب أن الإنسان يبحث دائماً عن القطعة الناقصة في حياته مهما امتلأت بالنعيم، ربما طبيعة البشر هي النكران أو ربّما الناقص هو ما يدفعهم لإكمال الحياة أكثر من الموجود بين أيديهم، فمن ينقصه الإيجاب سيظل طوال عمره يشعر أنه لم يمتلك شيئاً، ومن تنقصه الأموال سينظرُ بحسدٍ لذلك الشخص الذي يملكها، غير عالم بما يخفيه صدره من نقصان.

تنهدتُ مفرغاً بعض انفعالي، ليقول لي صاحب المطعم:

_ أحمق جديد بالعائلة يذكرني بما حدث لي في مراهقتي، وتسبب فيما تراه الآن.
قلت له محاولاً كسب وده:

_ هل أنت ناغم على وجودك هنا؟

قال مغيراً اتجاه الحديث:

_ ألا تشعر بأي عرض؟!!

لم تظهر عليك أيّة علامات لهذا الطلب الغريب الذي طلبته، أو ربما أنت تجيد إخفاءها.

قلت في حيرة:

_ وما هي الانفعالات أو الأعراض التي تنتظر ظهورها؟

أدار ظهره ناظراً إلى الغرفة التي يجلس بها أخوه وهو يقول:

_ لا أحد يفهم طبيعة عمل المطعم، إنه السحر غير المقيد بفكرة، يعطيك ما يرغب به هو، لا ما ترغب أنت به... إن للمطعم شخصية مستقلة، أشعر أحياناً أنني مجرد أداة وأحياناً أخرى أشعر أنني أقوى من السحرة والروحانيين، وأعلمُ تمام العلم أنكم تخشون أمثالي.

كان ما قاله في الأخير حقيقة، قطعت حديثنا صرخةً قادمة من الغرفة لنعدو ناحيتها ونجد أخوه يضحك بخبث، وبخه أحمد بحدة:

هذا الغبي بالتأكيد لم يقرأ قصة الفتى الذي كان يدعي الغرق. -

كان الجو دافئاً بالداخل وأنا أتخيل حيرة الروحانيين بالخارج، هذا المجتمع الذي خلق لتوحيد البشر والجن فخلق طائفة جديدة وبعيدة عن الوحدة بأهداف مختلفة، أنا الشخص الثاني أو الثالث الذي يقتل الروحاني الأكبر في تاريخنا لكن أنا الأكثر طلباً من زبائنتهم، جميعهم يطاردونني بشراسة واقتناع أن نجاتي ستكون سبباً في جبينهم، كنت أظن أن قتلي للأفعى وصغارها سيقضي على شرها لكن لم أنتبه أن كل رأس كنت أقطعها نبتت من جذعها عشرة رؤوس؛ لذلك لم أندم على أن تكون وجبتي الأولى بهذا المطعم هي عقلاً ربما سيفسر لي كل الأمور الغامضة..

بدر

في صباح اليوم التالي ليوم الاختبار كانت نظرات الزملاء تلاحقني، ما يحدث كان أكبر من قدرتي على الاستيعاب فقد أصبح لي خادم من الجن، ورأيتهم على كافة أشكال تحولاتهم، وعلمت عنهم في يوم ما لم يعلمه ساحر متمرس عن عالمهم، كنت أعلم أننا سنذهب إلى خلوة لمدة أربعين يوماً، وغير مسموح لي بالتواصل مع أي شخص آخر غير خادمي، فتلك الخلوة لتقوية أو اصر الصداقة بيننا وإظهار عيوبنا قبل مميزاتنا أمام الآخر، كانت نور الشخص الوحيد الذي أفتقده بشدة، كنت أريد الاطمئنان عليها وأن أشارك معها كل ما علمته في هذه الفترة، كانت كل أسرتي رغم قصر الوقت الذي قضيناه معاً، كنت أخشى شيئاً آخر أكثر من خوفاً عليها جعلني أشعر بأنانيتي، تملكني الخوف من أن تنساني وعلمت وقتها أنني أرغب في القرب منها أكثر من أي شيء آخر.

لم يعد أمامي الكثير من الوقت، سأرحل مع رفيقي الجديد، وعلى الرغم من حماسي في البداية إلا إن أربعين يوماً في كهف كانت كفيلاً بجعل شرارة الحماس تخفت، ظننت أننا سننتقل من مكان لآخر بتعويذة لكن انتقالنا كان عادياً؛ مجرد سيارة جيب بها أربعة مرافقين، تحركنا لساعتين أو أكثر حتى وصلنا إلى منطقة صحراوية ليُنزلنا السائق ويأخذنا رجل بثياب بدوية، مشينا ساعة أو أكثر حتى وصلنا إلى جبل به أربع فتحات عندها قال لنا بكل برود:

_ فليختر كل واحد منكم كهفه.

نظر الثلاثة الآخرون له بتعجب.. لكني تركتهم واخترت الكهف الثاني الأقرب لي، سمعتهم يقولون:

_ وماذا عن الطعام والشراب؟

قال ببرود:

_ في منتصف كل ليلة مسموحٌ لكم بالجلوس ساعة كاملة مع بعضكم البعض، وستجدون الطعام أمام كل كهف.

لم يجب على أية أسئلةٍ أخرى وهو يعود أدراجه من حيث جننا، لم أشعر بألفةٍ نحوهم؛ لذا تحركتُ تجاه الكهف مباشرةً، كان هناك سؤالٌ وحيدٌ يُراودني: كيف سأعلم بالتوقيت؟

جلستُ بالكهف متململاً، شاعرا بالاختناق لعدم وجود أية إضاءة، كأي في ليلةٍ حالكة السواد، رحّت أطوف يمنةً ويساراً مُحاولاً اكتشافه لكن ارتطامي ببعض الصخور جعلني أجلس صامتاً منتظراً وصول خادمي، ازداد غضبي وشعوري بالملل مع الوقت، ووصلت إلى أذني صرخةٍ أو هكذا هيئاً الفراغ لي، ثمّ بعد ساعةٍ سمعتُ صرخةٍ أخرى، حاولتُ تلهية عقلي بذكرياتي مع نور، كيف هي الآن؟ ستضحكُ وستتعتني بالكاذب أو ربما بالهارب عندما أقص عليها ما حدث في الحفل وكيف منعتُ بسهولة دخول الجن إلى جسمي، وربما سنتناقش عن ذلك الغريب، ولماذا يخشونه؟ وكيف يرون تجسّد روحه فيه؟ قطعت سيل أفكارٍ تلك الصرخة، كانت الثالثة التي أسمعها، لا أظن أن ما سمعته (تهيئات) لن أنتظر، سأخرج فربما زملائي يتعرضون لخطر، تحركتُ محاولاً الإسراع تجاه النور، ثم خرجت الصرخة الرابعة.. لكن تلك المرة مني، لقد صعقتُ من شيءٍ غير مرئي عند محاولة العبور من البوابة فعلمت ما حدث لهم بطريقةٍ عملية، انتظرتُ بضعة ساعات بعد غياب الضوء تماماً محاولاً الخروج مرةً أخرى بعدما اشتد بي الجوع، لأسمع صوتاً من خلفي يقول:

_ بقيت نصف ساعة، ولن تتحمل ضربةً أخرى وقتها.

رغم علمي أنني أستطيع مقاومة دخول الجن لجسدي إلا أنني شعرتُ بالفرع، ولا أريد رؤية ملامح وجهه المخيفة.

قلت له متردداً:

_ منذ متى وأنت هنا؟

قال بهدوء:

_ منذ الضربة الأولى، في الحقيقة لم أستطع منع نفسي من الضحك عند مشاهدتك وأنت تحاول الخروج، لقد جئت إلى عالم الروحانيين مخيراً ولكن بعد ذلك صرت مثل الجميع مسيراً.

حاولت استجماع قوتي قائلاً:

_ أنت هنا خادمي!

قال بغضب:

_ الجن الحر لا يخدم أحداً، هذا أول درس لك، وإن لم تستطع فهم كلمة خادم فسأشرح لك، يظن السحرة الصغار أنهم يملكون خدمة من الجن ولكن الحقيقة أن

ما يعتقدونه غير صحيح، فهم يحضرون ويلبون طلبات الجني حتى لو كانت كفرًا
والحادًا، أنت لست بساحر وأنا لست بخادم، بل نحن إخوة وهذا اللفظ قديم، فلم
نطلب تغييره!؟

أنا وأنت إن لم تكن أصدقاء ستكون أنت في خدمتي.

قلت مستنكرًا:

_ أنا أيضًا حر، ولن أخدم أحدًا.

قال ببرود:

_ إذا طلبت مقابل طلب أيها الصغير، والعمر الطويل لي والصبر أيضًا.

شعرت بالخوف والغضب لكنني لم أراجع، ثم سمعت صيحات فرحة بالخارج
فعلت أن وقت الطعام قد حان، كنت أشعر أن معدتي شخص آخر يتحرك ويأمر
فلم أستطع أن ألبث أمامها في مواجهة، تحركت تجاه البوابة لكن سرعان ما
خفت حماسي عندما وجدت أن الطعام هو زجاجة مياه وثلاث ثمرات من الفاكهة،
وضعت اثنتين بجيب سروالي ثم ذهبت لزملائي الثلاثة باحثًا عن بعض الونس،
اثان منهما كانا يلعبان من ترك الطعام، شعرت بتقلصات في معدتي عندما بدأت
أكل أولى الثمرات، وقلت لهما:

_ ربما التعويض سيكون بالغد.

رد أصغرنا قائلًا:

_ وهل الجوع سينتظر للغد؟

غفا ذلك الصامت بجانبنا شاعرًا بالأمان، فحاولت إيقاظه قائلًا:

_ هل قابلت خادمك؟ وماذا فعلت معه؟

نظر لنا بتوتر وهو يقول:

_ لا، لم أقابله.

كان يكذب، لكن لم يكن أمامي إلا تجاوز الأمر.

قال أصغرنا في خوف:

_ لقد حاول فرض سيطرته علي، ولولا قدوم الطعام وخروجي مسرعًا لأصبحت
أنا خادمه.

فسألت أوسطنا حجمًا:

_ وماذا عنك؟

لقد شعرت بخوف يجتاح كل جسدي، كان ضخماً بشكل لم أر مثله من -
قبل، حاولت إطفاء الشموع حتى لا أراه.. لكن كل واحدة أطفأتها كان

يُشعل اثنتين، فكرتُ في الهرب إلا إنَّ بوابة الكهف كانت مغلقةً بساتر غير مرئي صعقتني عند محاولة الهرب، وقالها لي صريحة: حتى لو هربت، إلى أين ستذهب أيها البائس؟ ألم تصلك أخبار عن قتل الغريب لصغار الروحانيين؟!

كان صادقاً، فما زلتُ أتذكر محاولة قتلي، وإن كان ما توقعته حقيقياً فالجميع تعرض لرهبة منهم أو لمحاولة، قتل لقد اتفق الجن الصغار علينا وربما ربجوا حربهم الأولى مبكراً، ورغم عدم معرفتي بأحدٍ منهم في السابق إلا إنني شعرتُ بخوفهم من خطواتهم المرتعشة أثناء الرجوع، وتعجبوا هم من عودتي الثابتة وكأني عائدٌ إلى غرفتي، كان بداخلي شعورٌ يحثني لأكون ثابتاً أمام ذلك الخادم، إنها حربٌ سييسط أحدنا قوته على الآخر في نهايتها.

أثناء حركتي بداخل الكهف سمعتُ صوتاً خلف ظهري يقول محاولاً إثارة مخاوفي:

_ لقد عدت مرةً أخرى أيها الفرخ الصغير.

نظرت خلفي لأجد كل المكان معتماً إلا من جمرتين مشتعلتين، توقعت أنهما عينيه لكنني تماسكت وأنا أقول:

_ يجب أن أنام الآن.

سمعتُ تنهيدة تنمُّ عن عدم رضا؛ لذا تجاهلته وأنا أبتسم وبعد دقيقةٍ أو أقل من التعمق داخل الكهف رقدت على جنبي مستنداً على يدي مصطنعاً النوم، وشعرتُ بأنفاسه على مؤخرة عنقي إلا إنني تجاهلته، لا أعلم كم مرَّ من الوقت إلا إنني علمتُ أنه قد استغرق في النوم هو الآخر، فدلقتُ إلى رأسه عبر الأحلام، كانت مثل جزيرةٍ تنبت بها الأفكار الشيطانية، تعجب من دخولي إلى أحلامه حتى أنني شعرت به يستنكر الأمر، فقلت له:

_ الآن أعلم اسمك الحقيقي، وأعلمُ أيضاً بعض أسرار الحرف التي تخشاها أنت ورفاقك لكن تلك ليست لعبتي ... سأجعلك أسيراً داخل رأسك، لن تستيقظ إلا لو أدنتُ أنا لك.

لم يكن بالأمر سحرٌ، بل كانت إحدى قدراتي.

قال ساخراً:

_ أنت الذي برأسي، أنت السجين.

قلت له:

_ إذا فلتجرب، وحاول أن تستيقظ.

كان من المفاجئ له أنه فشل مراراً وتكراراً حتى جاء منتصف الليل، وقبل خروجي بثوانٍ أيقظته ليصرخ محاولاً الهجوم المباشر علي لكنني كنت بالخارج، كنت أعلم أنه لن يستطيع مهاجمتي في تلك الساعة، هناك من يراقبنا، أشعرُ به لكنني لم أستطع رؤيته، تعجبتُ عندما وجدتُ أن الطعام أصبح ثمرتين فقط وقارورة مياه صغيرة، لقد انتقصوا واحدة، قمت بتقسيمهما على حصتين حتى لا ينهشني الجوع مثل الليلة الأولى وذهبتُ للجلوس مع زملائي لأجد أحدهم بسرورٍ مبلى، كان الخوف يسيطر على ثلاثتهم ويرتعشون رغم حرارة الجو، حاولتُ التخفيف عنهم وبدء حديثٍ إلا إنهم كانوا يجلسون هنا، ليس للحديث عن شيء بل لأنهم بعيدون عن الخوف بالداخل، إنَّ الخوف يسلبُ منا كل شيءٍ حتى الأمل، أما أنا فكنتُ أراهنُ أن تهدي الساعة من سخط خادمي لكنني كنتُ مخطئاً؛ فعند دخولي قام بايقاعي والجلوس على صدري محاولاً اختراقي إلا إنَّ كل محاولاته فشلت، فقال بغضب:

_ سأخبرهم أنك لم تمتزج بي يوم الاختبار، سأخبرهم أنك مثل الغريب وأنك حظرد جديد.

كان واضحاً أنه يشعر بالعجز، وأنَّ هذا مخيب لآماله ومخز مقارنة بما فعل أقرانه بأصدقائي، لم أكن أعلم من هو الحظرد لكنني كنتُ أعلم أنه لو قام بإخبار الروحانيين بشيءٍ من هذا فسأغادر عالمهم للأبد، وربما سأغادر الحياة نفسها وهذا هو الأرجح.

الشيخ محمود

مر وقتٌ طويل منذ غادرت قريتي، لقد أثرت الاستقرار بعيداً بعد حادثتي في الكهف، حتى أن زيارتي للقريّة كانت قصيرة وغالباً كانت في الليل، ثم انتهت زيارتي بعد موت أمي رحمها الله، تحركت تلك المرة بعد أذان الفجر حتى أصل إلى عاصم السيوفي قبل حلول الظلام، شعرتُ بالحنين يدبُّ في قلبي وأوصالي بمجرد أن اقترب ريح قريتي ولرويتي تلك التلال الرملية من بعيد وأشجار النخيل تظلمها، فتذكرتُ مباريات الكرة مع أقراني وأيام الدراسة حتى جلسات المساء النادرة تذكرتها كأني أراها أمامي، تحركت حاملاً حقيبتي الصغيرة تجاه بيتنا القديم، فربما يطول الأمر ليلةً أو اثنتين.

كان الصبية الصغار ينظرون نحوي كأنهم ينظرون إلى سائح غريب، ولعلَّ من بينهم أبناء أولاد عمومتي أو أبناءً لأصدقاء فرّق بيني وبينهم الدهر، سألتُ أحدهم وأنا أشير لبيتٍ جديد:

_ هل هذا بيت عاصم السيوفي؟

فقال باستنكار:

_ الساحر.. هل جئت إلى قرينتنا من أجل الساحر؟
نظر لي باقي الصبية بکراهية، ثم قام أحدهم بلعني مطلقاً سبباً ما زال لساني يعفُّ
عن ذكرها علانية ولم أسمعها وأنا في عمره، إلا إنَّ أحدهم قال:
_ هذا عم محمود، ابن الشيخ حامد.

سألته محاولاً النجاة من دائرة إهانتهم:

_ هل تعرفني؟

قال بود:

_ أنا علي ابن الحاج حلمي .. جاركم.

صمت الصبية وكفوا عن حديثهم بعدما علموا أنني لم أعد غريباً وأني من أبناء
القرية.. لكن نظرات احتقارهم كانت تلاحقني وتلفحني في ظهري.

قلت له:

_ كبرت يا علي .. لقد كنت صغيراً عندما تركت القرية.

قال في خجل:

_ لقد رأيتك في جنازة خالتي -رحمها الله- وسألت أبي عنك، كان هذا منذ خمسة
أعوام تقريباً.

قلت له:

_ لقد تغيرت الطرق والمباني يا علي، أين بيت عاصم السيوفي؟

قال:

_ لم يبع بيته لكنه انتقل إلى المقابر ... الناس يقولون إنَّ الجن الذي كان يسحر
بهم الناس (لبسوه) ويرعبونه فترك لهم البيت.

ضحكت ساخراً:

_ يرعبونه فيترك لهم البيت، تلك إحدى الأعيب عاصم إن لم أكن مخطئاً.

أرشدني علي إلى مكان المقابر وهو يقول هامساً:

_ إنهم يأخذونه في الصباح لعالمهم، وفي المساء يعود إلى هنا.

سألته ضاحكاً:

_ من هم؟

نظر حوله متوجساً رافعاً حاجبيه في إشارة خفية، وقال:

_ اللهم احفظنا!

لم تكن هناك فائدة من البقاء هنا، لذا عدت إلى البيت كي أضع حقيبة الملابس وأستريح قليلاً، تذكرتُ أنني لم أحضر أي طعام فعدت للخارج وأحضرت بعض الأطعمة الخفيفة ثم نمتُ لأستيقظ على صوت الأذان، أدتُ صلاتي ثم خرجت باتجاه المقابر، جلست هناك لدقائق وأنا ألعنُ عاصم وألعنُ الظروف التي أوصلتني إلى هنا في قرارة نفسي.

مرَّ الوقت ثقيلًا حتى أنني هممت بالعودة أكثر من مرة لكن شعوري بالمسئولية تجاه تلك الفتاة الصغيرة جعلني أنتظر مرغمًا، ثم شعرت بضربات خفيفة على مؤخرة رأسي وصوتٍ خشن يقول:

_ ما الذي عاد بك يا ملعون؟

كان صوت عاصم الذي لم تُغيره السنين، فابتسمت فرحًا متناسيًا إهاتته وأنا أقول:

_ شيخ عاصم، لقد جنت لك باحثًا عن العون.

حرك لسانه داخل فمه في حركة قمئة، ثم قال:

_ أي عون! لقد أرسلتك لكي تأتي بعونٍ لك ولي فعدت على بحربٍ لم أقو عليها، ذلك الجنى الذي كاد يقتلك جعلني لعبته لشهر من الزمن، فماذا سيعود علي يا ابن حامد إن ساعدتك هذه المرة؟

_ كل الخير صدقتي، كل الخير.

قلتها له بكل ود حتى أخفف من حدة حديثنا، فقال مشيرًا إلى يدي:

_ ستعطيني ذلك الخاتم.

الملعون كان يعلم أنه خاتم عهد.. لكني حسمت الأمر قائلًا:

_ اطلب أي شيء آخر غير الخاتم، وسأنفذه لك.

ضحك مستهزئًا وهو يقول:

_ ما زلت كما عاهدتك، سأجيبك تلك المرة، إنَّ ذلك الجنى الذي يقوم بمراقبتك لا قبل لي بمواجهته أنا وكل خدمتي، وصدقني يا محمود إنَّ ما تفعله سيُقدم موعد موتك، بل إنني أرى علاماتٍ على قرب مغادرتك لعالمنا ووقتها سأخذ هذا الخاتم.

أكثرُ ما ضايقتني أنه قام بكشف سر الخاتم، قلت له في محاوله يائسة:

_ أليس هناك أي أمل في أن تساعدني؟!

لعلها علامة أخيرة من الله لتكفر عن ذنوبك.

قال ساخرًا:

_ لم أختَر طريقي يا محمود، لقد اختارنا الطريق، البشر مثل موجات البحر يا محمود؛ كل موجة بدايتها تُخبرك بموتها الوشيك لكنهم لا يعقلون ذلك، فأعطني الخاتم ربما أستطيع مساعدتك..

تركته وتحركت إلى البيت وأنا في حيرة من أمري، هل أترك الفتاة في محاولةٍ للنجاة أم أغامر بروحي وروحها معي؟

عدت لأجد سيرهان في انتظاري، أشارت لي أن أصمت وقالت بصوت منخفض:

_ إن ذلك التابع الحقيق هنا ولا يستطيع أن يراني لكنه يراك حتى لا يشك أنه تحت تأثير السحر، ونعم يا صديقي هناك سحرٌ يؤثر علينا، إن الكلمات تؤثر علينا أكثر من تأثيرها عليكم، إن قائده من أشد الجن بأساً في عالمنا ولا قبل لي به، بل إن هناك حديثاً يقول إنه يتبع جماعة سرية أقوى من قبائل كبيرة في عالمي، وتلك الجماعة يقودها سبعة من زعماء القبائل هو أحدهم.

ظهرت الحيرة والخوف على وجهي دون أن أتحدث، فأكملت حديثها قائلة:

_ بعد بحثٍ قمت باستجواب جني من أتباعه، علمت أن هناك من تسبب بذلك، إنه مراهقٌ صغير اسمه بدر، جعلها ترى ما لا يجب أن تراه وللأسف هم يعتقدون أنها عينٌ لشخصٍ يدعى الغريب؛ لذلك لا أمل أمامك إلا أن تصل للغريب، والآن أعطني خاتم العهد فقد أصبح وجوده خطراً في يدك.

خلعتُ الخاتم من يدي ليشعل المكان بنارٍ كأنها الجحيم، وأجد عشرات الجن من حولي يحاولون اقتناص الخاتم، صرخت سيرهان فرعة:

_ اهرب يا محمود.

قمتُ بدّيس الخاتم بقوة حتى انكسر، فابتسمت لي وهي تعود إلى هيئتها الحقيقية صارخةً بقوة ووحشية:

_ اهرب!

ودخلت إلى المعركة لتكون آخر صورة أراها فيها والجن ينفضون من حولها مرتجفين.

أجلس في غرفتي مرتجفة بعد فرار عمتي من بيتنا وهي تستعيز بالله من شياطين الجن والإنس، لم يعد أحد يزورنا، حتى الشيخ محمود قد مرَّ شهرًا كامل منذ وعده لي بالعودة، أما أبي فأصبح حاله يستوجب العطف والرحمة، لقد أصاب المسكين مسُّ من الجان، وكل هذا لأنه أبي، وحتى بدر لم يظهر رغم مرور أكثر من شهر على فراقه، في بعض الأحيان كنت ألومه على ما وصلنا إليه، وهذا لمن لا يعلم لهو شيءٍ قادر على إخراج الكراهية والغضب من قلبي في كل ثانية نحوه، وأحيانًا أخرى أشعرُ بالخوف طالبة من الله أن يشملني برحمته، وألا يكون قد أصابه ضرر، كل ما أتمناه أن ينتهي هذا العذاب حتى لو بموتي، لا سبب يمنعني من المضي في طريق الموت إلا حالة والدي..

عندما تنتظرُ مخاوفك تكون هي دائمًا في انتظارك، فالليل ما هو إلا حصارٍ من تلك الكائنات التي لا تخاف غضب الله، حلمتُ أمس أني في بقعة سوداء من الجحيم، تحوطني من كل الجوانب رؤوس ثيران تثبت بين الجدران وتبصق من أفواهها الدم حتى ملأ أرضية الغرفة، أصبح نومي كابوسًا لا ينتهي، ونهاري كله أفضيه في سماع دقات قلبي الخائفة وأقاوم فيه النعاس معنويةً بأبي في محاولة يائسة لإطعامه، أحيانًا أسأل ربي عاجزة: كيف يصيب المس رجلًا مثل أبي؟! أشعر أن عمري قد طال وأنا الصغيرة التي لم تصل إلى عقدها الثاني.

غفوت مرةً أخرى في كابوس أسود تلوته الدماء وقلبي مليء بالذعر والخوف وأنا أرى أيديهم تحاول أن تلمس جسدي، أجري فزعة منهم لعلمي أن كل ظفر سينهش جسدي في المنام ربما أجد أثره في الصباح، حتى ظهر من بعيد، كان مبتسمًا ويناديني قائلاً:

_ نور.. نور، لقد عدت.

لم أستطع أن أفرق هل ما أراه حقيقة أم خيالاً؟

هل تسلل بدر إلى أحلامي مرة أخرى أم إنني أتشبث بأملٍ كاذب؟!!

لعل عقلي يتلاعب بي لكن كان هناك شيءٌ مختلف يحدث في كابوسي تلك المرة، لقد اختفت الأيدي ورأيت أعينهم ظاهرة من كل مكان، كأنهم وجدوا ما كانوا ينتظرون عودته.

سألته بقلق:

_ هل أنت حقًا بدر؟

قال متعجبًا:

_ ما بك يا نور؟ ألسنت فرحةً بعودتي؟!!

كانوا ينصتون إلى حديثنا، كنت أشعر بذلك.

قلت لبدر:

_ بدر، أنا خائفة.

سألني:

_ مم تخافين؟

_ منذ مشاهدتك في حلمي الأخير والجن يحتلون بيتي، وقاموا بأذية والدي..

شعرت بقوة كبيرة تدلف إلى حلمي، فقلت لبدر بخوف:

_ اهرب يا بدر، اهرب.

كان قائدهم قد حضر، وقد شعر بدر بوجوده هو أيضًا لكنه لم يغادر، بل قال له بشجاعة:

_ من أنت؟ وماذا تريد منها؟

كان يطير في سرعة متجهًا إلى جسد بدر وهو يقول:

_ لقد علمت من أنت يا ولد.

وسقط هو وبدر أرضًا، كان يشعر بصدمة وهو يقول متعجبًا:

_ كيف استطعت أن تقاوم عبوري لجسدك؟

قال بدر بصوت ينم عن الألم الذي شعر به:

_ لأنني محصن.

قال له قبل أن يتحول إلى كلب أسود ضخم:

_ محصن من الداخل ربما، لكنك من الخارج بشري عادي.

ثم قفز عليه، لأستيقظ فزعة غير عالمة بما حدث بينهما، شعرت بالخوف يزلزل قلبي، لا أعلم هل أخاف على بدر أم من المجهول؟ هل كان كابوسًا أم واقعًا؟

حرب

ظل ماذر يعاتبني على عودتي إلى عالم الروحانيين حتى شعرت أن الزواج مرة ثانية أهون من ملازمة جني في حرب ربما أموت فيها، كدت أفقد أعصابي أكثر من مرة لكنني صمت مرغمًا على أمل أن يمر الانتقال سريعًا لكنني لاحظت أننا ندور في دائرة واحدة، ثم نعود لبدايتها من جديد فقال ماذر:

_ أظن أنه تم تعقبنا مرة أخرى.. لكن تلك المرة بتعويذة تعطيل.

كنت أعلم بالمخاطرة فربما من قام بفعلها أو على الأدق من قامت بفعلها تريد أن تصل إلينا عن طريقها؛ فالشعوذة لعبة بسيطة لروحانيي العالم السفلي لذلك قررت أن أتحرك بلا تعويذة، أما ماذر فسرعته تسمح بأن يسبقني إلى أبكم.

لم تمر دقائق حتى وجدت ماذر عائدًا والرعب بادٍ على وجهه وهو يقول:

_ لقد قتلوه.

قلت له غير مصدق:

_ من؟! قتلوا من؟

_ قتلوا أبكم.

أشرت بيدي نافيًا:

_ مستحيل، هذا مستحيل! كيف علموا بمكانه؟ وكيف عرفوا اسمه الجديد؟! هو لم يخبر به أحدًا حتى الآن.

لم يُجب، فقط تركني أجلس على حافة الطريق باكياً، كان يعلم أن ذلك يعني نهاية كل من ارتبطت بهم منذ دخولي إلى عالم الروحانيين، ماتت زوجتي ثم صديقي الوحيد.

صرخت غاضبًا:

_ خذني إليهم.

قال مستنكرًا:

_ هل جنتت! أنسيت ما فعلوه بنا في المرة الأخيرة؟

قلت بغضبٍ واضح:

_ وهل نسيت أنت من أنا! أنا حرب.

ورغم علمي أن الانتقال أسوأ شيء أفعله في تلك اللحظة إلا إنني تلوت تعويذة الانتقال ليختفي جسدي من مكانه، ثم يعود مرة أخرى لكنني أمسكت تلك المرة بحبل معقود سبع عقد، فعلمت أنه طلسم انتقالٍ بسيط وأنهم قاموا بدراستي جيدًا ويعلمون أنني سأعلم بمقتل أبكم، ووقتها سأختار مواجعتهم؛ لذلك تركوا لي ذلك الطلسم المعقود والذي فككت أول عقدة منه ثم الثانية، لأسمع صوت فرقة تعويذة الانتقال وردد بقول ساخرًا:

_ أهلاً بحرب الأحمق، أتظن أنك..

اختفيت يسارًا ثم يسارًا مرة أخرى، ثم انحرفتُ يمينًا قبل أن يكمل جملته وألقيت بتعويذة الضباب فأصبح المكان محاطًا بضباب أسود، ثم ألقيت بتعويذة النوم السريعة ليغفو رعد، حتى أنه لم يعلم وقتها أنه الأحمق، وقبل أن ألقى بتعويذة أخرى تنهي حياته سمعت نورسين تقول:

_ سأقتل خادمك لو اقتربت منه.

نظرت للأعلى لأجد ماذر محاطًا بسلاسل من نار وسط سبعة من الجن ويصرخ قائلاً:

_ ستقتلنا في النهاية، فلا تكن أحمقًا.

توقفت ناظرًا لها بقلق وهي تقول:

_ إذا، لقد عاد حرب مرة أخرى.

كنت أقوم بدراسة الأمر وأنا أعلم أن نسبة نجاتنا في كل لحظة تمرُّ تقترب أكثر من الصفر، لم يكن هناك بديلٌ أمامي إلا مجاراة استعراضها، قالت بعد أن أَلقت بتعويدة التيه:

_ اليوم هو يوم نهايتك، أظنُّ أنك لا تعلم من أنا.. توقعت أن تلقي بتعويدتك الضبابية، لقد درست كل تعويداتك لذا ستشعرُ بأنك تائه الآن ولا تعلم أين أنت.. لكنك ستسمعي على أي حال، عند انضمامك للروحانيين كنت غرًّا ساذجًا مثل الأغلبية لكنك منذ بداية الأمر وأنت كباقي القبائل الستة تكنُ عداً واضحاً لأصحاب قبيلة السفليين، بالتأكيد تريد أن تعلم من أنا.

أنا نورسين أخت من كان سيصبح رئيساً كما خططنا واتفقنا مع رؤساء باقي القبائل لولا هجومك القوي وطلبك أن ننفصل عنكم، ثم ضاعت فرصتنا، فرصة أن نكون نحن القادة، صدقتي، الأمر لم يكن يوماً شخصياً لكنك من جعلته كذلك، بالتأكيد أنت تعلم أن مقتل زوجتك لم يكن صدفة بل كان حادثاً ومدبراً، أرسل لها تحياتي أيها الحقير في الجحيم، وقل لها أن كل أفراد العالم السفلي قادمون لقتلها مرة أخرى.

في الوقت الذي كانت تتحدث فيه كنت أفكر في تعويذة مناسبة، في البدء اخترت تعويذة التشتيت لكنها كانت ستصيب ماذر أيضاً، ثم انتبهت لتعويدة قيمة، تعويذة الذئب، يقال إن الجن يخافون الذئب لكن ليس أي ذئب، كانت تلك تعويذة الذئب فجر وهو ذئب من نار، حتى أنيابه خلقت من نار، ضخّم مثل الثور وسريع مثل الغزال، ومرعبٌ لأنه لا يفرق بين الأعداء ومن قام بتحضيره، وقد حدث ما توقعت بعد حضوره فتفرق الجن جميعهم مرعوبين حتى ماذر، ورغم أن تعويذة التيه كانت تسيطر عليّ إلا إنها استطاعت أن تبعدني عنه.

هول المفاجأة كان واضحاً على نورسين إلا إنها تماسكت وقامت بإلقاء تعويذة قاتلة لم أعرف كنهها لكني شعرت بالنار تحتك بشعر يدي، حاولت أن أعكس الأمر نحوها إلا إنني فشلت، فقامت بتكرار التعويذة التي أخطأتني لأنها كانت تعلم رد فعلي الحقيقي، وكان ما أنقذني هو تعويذة التيه في كل مرة، كنت أحاول الانتقال إلى اليسار فأجد نفسي في اليمين، وحتى عندما عكستُ فكرتي كانت هي أيضاً قد عكست تعويدتها فلم تنجح من الوصول إلي، كنت قريباً منها فهجمتُ عليها ولففتُ الحبل -الذي وجدته عند محاولة الانتقال- حول عنقها مستشعراً لذة الانتقام، لم يكن أمامي خيار فغريزة البقاء أقوى من غريزة الانتقام، وكلاهما معاً كانا ناراً مشتعلة في صدري جعلتني أضغط بقوة حتى قالت من بين أنفاسها الأخيرة:

_ اتركني وسأخبرك باسم قاتلها.

لثوانٍ شككتُ أنها خدعةٌ وعندما أخذت قراراً بترك عنقها كان الزبد ينزل على وجنتيها، وعينيها المفتوحتان تخبراني أنه لم يعد هناك داعٍ للانتظار.

كان ماذر قريباً مني وقال:

_ تبقى ذلك الحقير.

قلت له:

_ لا تقلق، فجر لن يتركه حياً.

ومن بعيد بينما أقوم بفك باقي عقد الحبل شاهدت جسد رعد بلا رأس قبل أن ينهش فجر باقي جسده بكل قوةٍ وشراسةٍ، كان هذا إعلاناً ببدء المرحلة الثالثة التي لا أستطيع القول إنني فزت بها بعد رحيل أبكم، لقد كان الخوف يقف في طريق الانتقام كما يقف دائماً في طريق الأحلام، والآن لم يعد هناك شيءٌ أخافه فقد خسرت كل شيءٍ.

الروحاني الأكبر

بجانب حجر رخامي داخل ذلك القصر المهجور -الذي قتل به الروحاني الأول- وقفتُ منتظراً قدوم أفراد قبيلة السحر السفلي، ولم يطل انتظاري حتى توالى حدوث الفرقعات معلناً قدوم عددٍ لا بأس به منهم، ليحضر قاندهم داركليس في الأخير، ثم قال لهم بعد تحيتي:

_ تعلمون أننا أكثر قبيلة مضطهدة في عالم الروحانيين، حتى أن أغلبهم يعاملوننا على أننا سحرة أعمال وعزائم.. لكن ذلك سيتغير بعد كلمة الروحاني الأكبر.

بدأت حديثي قائلاً:

_ أتعهد أمامكم جميعاً بأن يكون داركليس نراعي الأيمن.. لكن هذا بعد خلاصنا من الغريب.

قال أحد المتعصبين:

_ ومن يضمن لنا ذلك؟

قلت له بغضب:

_ كلمتي سيفٌ على كل الرؤوس، أنت تعلم ذلك، جميعكم يعلم ذلك.

قال آخر لم أستطع رؤيته:

_ لقد أخذنا عهداً في السابق بأن يكون منصب الروحاني الأكبر من قبيلتنا حتى قام وقتها من يدعى حرب بمهاجمتنا في كل مكان، ثم انتهت الوعود إلى لا شيءٍ،

ومرّت كل هذه السنين بلا رئيس منا.
كان الوضع يزداد تعقيداً، وقبل أن أفكر في حل قالت فتاة:

_ أظن أن الحل هو أن تنفذ ذلك اليوم.

قلت لها ساخرًا:

_ تلك حيلة لن تنفع معي، أنتم تعلمون أن كلمتي نافذة على كل القبائل ولا أحتاج إلى اتفاق حتى تنفذوا أوامري.

قال داركليس معلناً نواياه:

_ لكنك تعلم أن كل القبائل لن تُفيدك مثلنا، وتعلم أيضًا أن الغريب لو عاد فربما لن يكون هناك مجلس من الأساس، وبالتالي لن يكون هناك روحاني أكبر، وأن جماعته تنتظر إشارة منا حتى لو بنفس المقابل الذي نعرضه عليك.

أكد لي ظنوني ناحيتهم وإن كنت أخشى على الروحانيين من شخص غير الغريب فبالأكيد سيكون داركليس وجماعته؛ لذلك قلت للجمع الحاضر:

_ وستعهدون بالوفاء لكل ما أقوله وقتها مثلي مثل داركليس.

قالوا بصوت واحد:

_ بالتأكيد نعم.

وقتها حسمت الأمر؛ لذلك أعطيت إشاراتي وقلت تعويذة استحضر لتبدأ الفرقات بملء المكان في نفس وقت مهاجمتي لداركليس، مشكلة زعماء القبيلة السفلية هي غروهم وعدم تعلمهم من تاريخ البشر أي شيء، رغم أنهم في الأصل بشر لكنهم سيعلمون أن تجميعهم هنا وإعطاءهم أملاً كاذباً كان خدعة وقعوا فيها مثل عشرات قبيلهم عندما يلحقون بهم في الجحيم، كان داركليس محاطاً بتعويذة خيوط العنكبوت الحديدية مثل: ذبابة محاصرة من كل اتجاه. وأفراد قبيلته يحاولون النجاة والمقاومة بين آلاف من باقي القبائل.

اقتربت من داركليس المحاصر، واقتلعت خواتمه من يده وأنا أقول:

_ قمت بالبحث عن المكان وعلمت أن الغريب قتل الروحاني الأول هنا لكن غرورك أقتعك أننا من نخشى المكان ولذلك هجرناه.. لكن ما لا تعلمه أن هذا المكان كان أحد قصور سليمان العظيم الذي سخر الجن جميعهم تحت حكمه وأمرته، وهذا ما سأقوم به وأضم جن قبيلتك تحت خدمتي بعد قتلي لك.

ضحك داركليس وهو يقول:

_ الغباء كله أن تتصور أنني وضعت البيض في سلة واحدة، هؤلاء هم صغار قومي.. ربما أقتعك أنهم الكبار والأكثر قوة عندما أحضرت ثلاثة من الكبار بوجوه مألوفة فلم تلاحظ أو تهتم بالبقية، يمكنك قتلي لكنك تعلم أننا سننتقم لقتلنا

حتى سابع حفيدٍ لك، لن يبقى هناك أحدٌ من نسلك ولا نسل نسلك، وهذا ما يحدث الآن لابنك وأحفادك، ونسيتُ أن أخبرك أن ما خططت أنت له حذرني منه الغريب.

لم يكن هناك وقتٌ للتراجع، أطلقت على رأسه تعويذة التدمير القاتلة التي هشمت رأسه إلى قطع صغيرة منهيّة ضحكته المستفزة، ثمّ اختفيتُ بتعويذة الانتقال إلى بيت ولدي، لأجدّ الدماء تُلطخ الجدران والعظام الكبيرة مهشمة ومختلطة بعظام صغيرة الحجم لتخبرني بحقارة وقسوة السفليين، حتى زوجته لم يتركوها..

جلستُ على الأرض باكيًا والغضبُ والحزنُ يملنان قلبي حتى انتصر الحزن على بقية مشاعري فأجهشت بالبكاء متحسرًا وشاعرًا بالندم؛ لتسببي في مقتل كل أسرتي المتبقية، إنه حتى لم يكن روحانيًا ولا ساحرًا، بل اختار أن يعيش بشريًا عاديًا مع تلك المرأة التي أحبها هو وطفليه.

غمغمتُ قائلاً:

_ أقسم أي سأنتم لكِ.

لكني شعرت بعدها بضالة الانتقام، لن يُعيد الانتقامُ من رحلوا حتى لو سقيت الأرض بأنهار من الدم، لقد كسبت فقط عداوة المتبقين منهم وخسرتُ بعض الروحانيين في المعركة معهم، والوحيد الذي انتصر في تلك المعركة هو الغريب، لقد وثب الماضي من مكمّنه لينشب في حاضري شروره، ولا بديل أمامي إلا تدمير من عاد منه.

جاسر

استيقظتُ بعد إغفاءةٍ قصيرة لأجدّ صاحب المطعم يحدقُ بوجهي، كان أول خاطر مرّ بذهني أنه يحاول العبور لداخل عقلي، فقلت له:

_ ماذا تفعل؟

قال ضاحكًا:

_ فقط كنتُ أتساءل، لماذا شابٌ مثلك يفعلُ كل هذا؟

اعتدلتُ في جلستي وأنا أقول:

_ هل تعلمُ كم فتىً صغيرًا فقدَ طفولته في عالم الروحانيين؟

هل تظن أنني أول من اكتشف خدعتهم؟!!

وأنّ قلتي للروحاني الأكبر كان الأول، لا، لم يكن الأول ولن يكون الأخير.. في كل يوم يولدُ به طاغيةٌ يولدُ من أفعاله مئة قاتل لكنهم لا يصلون إلى رأسه في

الأعلب، الغريب أننا لو قمنا بإنهاء حياة طاغية مثل الروحاني الأكبر فلن نكون شهداء لكلمة الحق، بل سنكون قتلة أمام من فعلنا من أجلهم كل هذا..

هناك من قتل الروحانيون أهله حتى يعود إليهم مرة ثانية، وهناك من قتلوا أصدقاءه، وأحياناً عند ظهور هبتك يقومون بقتل كل من تحبهم حتى لا تجد غيرهم أمامك، أتظن أني بعد ذلك فعلت كل هذا من أجلي؟

كان يستمع لي بفضول لم يخفه حتى أنه لم يقاطعني حتى صمت، فقال:

_ أتؤمن أننا من نختار طرقنا في الحياة!؟

أنت لا تصدق ذلك بداخلك، إن الموضوع جدلي ومنتشعب لكن أظن أن هناك تقاطعات تحدث في الطريق المستقيم.. تلك هي ما نختارها وتختارنا وتوجه مصيرنا، وكل ما علينا فعله هو أن نعود مرة أخرى إليه، فهل حقاً نستطيع اختيار العودة للطريق الأول؟! لم اختر المطعم لكنه تقاطع معي، أتظن أن وجودي بمطعم يعطيك طعم الشخص أو الصفة التي تختارها كان خياراً؟ لا.. بل ألف لا، لكنه تقاطع مع خياراتي ولم يعد هناك طريق لي غيره، لقد حررت حبيبتي عبد الله الحظرد من عالم قديم لا زمن ولا مكان به، وكل هذا من أجل إنقاذي؛ لذلك فطريقي الوحيد الآن هو إنقاذها لذلك أنا متفهم لدوافعك وسأساعدك، وأفهم أيضاً سبب اختيارك لطعم عقل الغريب، لكن قبل أي شيء لا تظن أنها رحلة، فقد اخترت أكثر العقول البشرية خطورة، لبتك اخترت عقل الروحاني الأول!

كان ما يقوله واقعياً لكني لم أستطع الانتباه لبقية حديثه، فقط سمعته يحدثني من بعيد وسقطت أنا في عالم آخر، كنت في مدينة فرعونية قديمة متحرراً خلال أبواب قلعة صغيرة، ظهر لي ممر مبلط بالرخام والمرمر، وفي نهايته باب على جانبيه عمودان، فوقهما تمثالان ذهبيان؛ الأول للبوّة عيناها مصنوعتان من الياقوت الأحمر، والثاني لجسد امرأة ورأس ذئب.. حتى وصلت إلى ديوان صغير يجلس فيه جني مهيب الشكل..

قلت له:

_ أنت لم تلتزم باتفاقنا يا صديقي.

ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يقول:

_ بل أنا ملتزم، نحن اليوم نصنع أول إمبراطورية بين عالمنا وعالمكم، وأنا حتى من اقترح أن أكون خادمك.

ضحكت ساخرًا وأنا أقول:

_ نعم الخادم الذي يحكم سيده، أعطيتك أسرار الحرف وحتى الآن لم أعلم اسمك الحقيقي، بل أخبرتك بكيفية تغيير الاسم حتى لا يسيطر عليك أي إنسي بقوة الحرف، حتى متون الأهرام علمتها لك، وتستطيع الآن العبور بين عالمي

وعالمك بدون وسيط رغم أنه لم يكن باستطاعتكم المرور إلى عالمنا من قبل،
وماذا استفدت أنا؟! ماذا استفاد البشر عموماً؟!

قال الجنى:

__ الجميع يعلم أننا إخوة، الجميع يعلم أنني أخدمك وأنفد ما تريده، ولا تنس أن
كل أوامرك نافذة على كل بني قومي.

قلت غاضباً:

__ آية أو امر! سأظل أذكرك بأني من سلالة ايمحوتب، وأن بإمكان أقل فرد في
أسرتي تسخير من أراد بقوة الحرف والكلمة.

رد منفعلًا:

__ أنت تَهون من شأننا يا أخي، وكل هذا من أجل شهوة اعترتك على كرسي
الحكم ونحن في بداية الطريق، دع عنك تلك الأمور فالأهم الطريق وليس
الطريقة.

استفقت على صوت أحمد صاحب المطعم وهو يقول:

__ ماذا حدث لك؟

__ لقد شاهدت رؤيا، أو ذكرى للغريب مع الروحاني الأول.

نظر أحمد إلى أخيه الذي لم ألحظ حضوره في البداية، ليقول زياد:

__ أتظن أن عقل الغريب يتلاعب به؟

__ ربما.. لم لا؟

كنت أشعر بدوارٍ يجتاح عقلي قبل أن أقع صريع ذكرى أخرى، كنت ألهث في
ظهيرة ذلك اليوم وأنا أحاول فك طلسم قيد الروحاني الأول، لقد أنقذني هو
وأتباعه من الجن من مكائد كانت تدبر لي في البلاط الملكي الفرعوني بعدما
أصبحت متمردًا على الحاكم والنظام، وهناك مطالبات برأسي من حاكم مصر
نفسه.. لكن الروحاني الأول أخرجني من مصر وهربني لأعلم أن الأخوية
والارتباط أقوى من كل المناصب والزييف الذي كنت أسعى إليه، بعد ذلك اتفقنا أن
يكون الروحاني الأول وأنا الغريب، هكذا نحتفظ بسرية أسماننا وجماعتنا.

كنتُ أشعر بالخوف عليه وكان يخشي أن يقع أسيرًا لقوة الحرف؛ فرغم أن
قدرات الجن كبيرة إلا إنهم أضعف منا؛ فقوة الحرف وبالأخص باللغة القديمة
تجعلهم أضعف من الإنس بكثير، ولو كان القائل قويًا وذو شخصية وإيمان بحرفه
لأصبحوا أكثر ضعفًا.

تعلمت الكثير في تلك الفترة وعلمته الكثير حتى يتحاشى تعويذات الإنس، بل قمتُ
بتعليمه أشياء تزيد من قدرات الجن، والحقيقة أنها أفادتني كثيرًا لهذا تركتُ له

لقب الروحاني الأول بصدر رحب بعد رفضي له في البداية، وأخبرت مجتمع الروحانيين في أكثر من مناسبة أنه صاحب الفضل والفكرة مما زاد من شعبيته. عجيبة الأيام، تغيرنا للنقيض من الكره للحب ومن الحب للكره- دون أن نشعر أو نرتب لذلك، كنت أفك الطلسم عقدة تلو الأخرى أمامه لكني لاحظت شيئاً بسيطاً شيئاً غريباً جداً، تلك العقد ملفقة.. فككت العقدة الأخيرة فقال مبتسماً:

_ نعم كانت ملفقة.. لكن كان يجب معرفة طرق فكها.

قلت له بامتعاض:

_ لكن لماذا؟

قال بهدوء:

_ لأنّ تقلباتك البشرية وعمرك القصير يجعلان حلمنا في خطر أيها الغريب، وأنت لا تعطينا كافة علمك.

شعرت بالصدمة، ثم أوليت ظهري له مغادراً المكان فقال بصوت عالٍ:

_ لم أسمح لك بالمغادرة يا صديقي.

قمت بإلقاء تعويذة عليه لكنه تجنبها بتعويذة مضادة، فقلت مهناً:

_ لقد ربحت المنصب لكن أفعالك ستجعلك تخسر الكثير، سأخبر الجميع بكذبك وتحايلك.

قال ساخراً:

_ ستكون غيبياً مرتين، المرة الأولى عندما هاجمتني أمامهم ثم أنقذناك بعدها من السجن الذي أوصلناك إليه دون أن تشك بنا، فأخبرتهم مكفراً عن ذنب لم تقترفه باعتراف أي ملهك وصاحب الفكرة التي جمعنا معاً.

والثانية عندما ستعكس كلامك، ستفقد مصداقيتك وسأنكر كل اتهاماتك، ووقتها ستصبح عدواً لكل الروحانيين من بني جنسك وبني جنسي.

كان محقاً، ورغم ذلك كنت أعلم أنّ هناك طريقة للعودة، لم أتعجب من جراته فقد وهبته في الأعوام السابقة علماً لم يكن يحلم به لكن مثلما يوجد خونة في بني جنسي سأجدهم في بني جنسه.

استيقظت تلك المرة وصاحب المطعم وأخوه يتناولان طعامهما غير مباليين برقدتي على الأرض، بل إنّ الصغير قال ببرود:

_ أخيراً استيقظت! هيا، تعال وأخبرنا ماذا رأيت في المرتين.

قلت في برودٍ مماثل:

فقط رأيت ما صنع من الغريب شخصًا مثلي، شاهدتُ الغدر والخيانة، لقد أثبت لي أن كل الذكريات بها شيء مؤلم، حتى اللحظات السعيدة بها جانبٌ محزن لا نراه أو لم نعلمه حينها.

بدر

عقدتُ اتفاقًا مع الجني أو الخادم، أن أعطيهِ القوة في العلن حتى يفخر أمام أقرانه ويشعر بزهو زائف أمامهم بدلًا من شعوره بالعجز، وكان شرطي الوحيد أن أفعل ما يحلو لي دون أن يُفشي سري أو سره، وقد كان؛ فأصبحت علاقتنا المعقدة بدايةً لصداقة جيدة، بل إنه أخبرني بمعرفته الكثير عن قدراتي يوم سمحت له بدخول جسدي ولم يخبر أحدًا بها خوفًا من سخريتهم منه، فهناك قاعدة في عالمهم تقضي بأن يختاروا روحانيًا ضعيفًا في بداية حياتهم كي يستطيعوا السيطرة عليه، ومع مرور الزمن يختارون شخصًا أقوى لأنه مهما طال عمر أقرانهم من الإنس فَعمرهم صغير.

أخبرني بطريقة تخفي اتصالي العقلي عن السادة، بشرط أن أخرج لزملائي ضعيفًا مهلهلًا حتى يكون قد فرض سيطرته عليّ أمام الجميع، وافقت شاعرًا بالمكسب من هذا الاتفاق، ثم قمتُ بالاتصال بنور لأجدها محاطة بقطيع من الجان، ثم جاء قائدُهم وحاول منازلتي، لقد شاهدته في الاجتماع الذي تلصصتُ عليه، وشعرتُ بفداحة فعلي عندما تذكرتُ أنني جعلتُ نور تشاهده في أثناء اتصالي العقلي، ربما وصل إليها عن طريق رؤيتها له، لا أعلم كيف حدث هذا لأنني لا أفهم قدراتي ولا حدودها.

قصصتُ على خادمي الأمر وأنا أقول:

_ سيخبر الجميع الآن أنني صاحب هالاتٍ وقدراتٍ مختلفة، وسيطرُدونني.

قال بثقة:

_ لن يخبرهم.

_ من أين جئت بثقتك!؟

هكذا سألته فقال:

_ لنفس السبب الذي جعلني أوافق على عرضك، سيخافُ أن يعرف الجميع أنك منعتهم من الدخول بجسمك وهو قائدٌ من الجن السبع في عالمنا.

سألته مرة أخرى قائلاً:

_ وماذا عن نور؟ كيف أنقذها؟

قال ببساطة:

_ ستُعطيها هالتك.

شعرت بالحيرة وأنا أقول:

_ كيف يحدث هذا؟

قال بهدوء:

_ ألم أخبرك أنني أعلم عنك أكثر من علمك عن نفسك، أنت تملك قدرة إعطاء أو أخذ هالة من حولك وهذا ما يجعلك أخطر روحاني في عالمنا.. لكنك لا تعلم الكثير عن نفسك، وسنكتشف ذلك سوياً.

كان ما يقوله عجباً لكن على أية حال إن كان هذا سيُنقذ نور من شرهم فلا بأس به.

قلت بصوت عالٍ:

_ نور، أعطِها هالتي المضادة للجان.

ضحك بصوت عالٍ -أظن أن زملائي سمعوه- وقال من بين ابتسامته:

_ هل أنت ساذج؟

سألته متعجباً:

_ لماذا؟

فقال:

_ لأنَّ القدرات لا تُنقل بطريقتك المضحكة، سأبحثُ عن التعويذة التي ستُنقلُ قدرتك لها.. لكن عدني أنك لن تفعل هذا إلا بعد خروجك من هنا حتى لا يشكوا أنني من نقلت لك سر التعويذة.

كان ما يقوله مفرعاً لي، يجب أن أنتظر اكتمال الأربعين يوم حتى أنقذ نور، هل ستصمدُ أمام ذلك الحفير طوال تلك الفترة؟!!

أتمنى ذلك من الله..

قاطعني صوته وهو يقول:

_ الآن اخرج لأصدقائك ولا داعي لتمثيل دور المهزوم؛ فمظهرك الحالي أكثر إقناعاً من أي تمثيل.

كان محقاً، رغم قدراتي وقوتي فأنا مهزوم.

قال مشفقاً:

_ أعلم أن البشر أحياناً يخفون أحزانهم أو سعادتهم عن الآخرين حتى لو كانوا مقربين خوفاً من شماتة أو حسد، لكنك يا بدر لا تستطيع إخفاء أي شيء، إنَّ

وجهك يشف عما تشعر به لكن ثق بي، يجب أن تبقى ما تشعر به سرًا، فما
سيزيدك حزنًا هو ألا يشعر بك من تنتظر منهم ذلك.
أومات براسي موافقًا، وخرجت من فمي ابتسامًا لم أستطع إخفاء حزني خلفها.

الشيخ محمود

مرَّ أسبوع بعد هروبي من معركة سيرهان والجني، فقدتُ خاتم العهد الذي
يربطني بها وفقدت معه جزءًا من قلبي، لم تكن سريهان أمرًا عاديًا مر بقلبي بل
كانت صديقة لم أجد مثلها بين بني البشر.

تحركتُ في الشوارع شاعرًا بأنَّ السماء لم تكن يومًا صافية بل مُرعبةً بالسحب
الداكنة مثل حياتي.. لكنَّ الفرق بيني وبينها أنها تُمطر فرجًا وأملًا للبشر، أما
حياتي أنا فجرداء بلا نقطة أمل واحدة، لم تعد نور هي الوحيدة المُهددة بل أنا
أيضًا، ولولا سابق معرفة بعالم الجن لكنت الآن ميتًا أو أسيرًا لهذا الجني
البيغض.

وصلت إلى ذلك البيت المهجور ودلفت إلى الداخل بسرعة حتى لا يشعر بي أو
يراني أحد، استحضرتُ قريني للمرة الأولى رغم علمي بفداحة الأمر؛ فالقرين
خبث ولا يفعل شيئًا بلا مقابل، لم يحضر على هيئة بشرية بل حضر كشخص أو
شيء مرعب، برأس خنزير وجسد قرد كثيف الشعر، وكان الشرُّ باديًا على وجهه
كأنه نطفة من إبليس كبرت ونضجت بالشر الخالص.

خاطبته:

_ أريدُ منك خدمة؟

تحركتُ في الغرفة لألاحظ نيلًا يخرج من مؤخرته زاده قبًا، ولم ينطق حرفًا
واحدًا، كنتُ أعلمُ أنَّ تلك المخلوقات خبيثة وتشعر بالمتعة عندما تواتيها فرصة
تعذيب من يطلبهم؛ فكررت طلبي مرة أخرى، ليقول بعد ثوان:

_ وماذا سأستفيد في المقابل؟

قلت له:

_ اطلب ما تشاء.. لكن اعلم أني الشيخ محمود ولن تنطلي عليَّ حيلك.

حرك لسانه ببطء مبللاً شفثيه، لتظهر أنيابٌ كبيرة بداخل فمه، من الواضح أنه يحاول إخافتي بتلك الحيل الصَّبِيانية.

قال في هدوء:

_ ستسمح لي بأن أتجول بين أفكارك.

قلت له:

_ ومن منعك عنها؟

قال بغضب:

_ أذكارك اليومية.

قلت له:

_ هل ما فهمته صحيح؟

ابتسم ليزداد وضوح الأنياب، ثم قال:

_ نعم، ستُعطيني عهداً أنك ستمتنع عنها.

قلت بغضب:

_ حقاً إنك لعينٌ ومحتال.

قال بهدوء وهو ينظر نحوي:

_ وسأخبرك كل شيء عن الغريب.

قلت بصرامة:

_ لو كان المقابل حياتي فلن أوفئك أيها الحقير.

قال ببرود:

_ إذاً كما تريد.

ثمّ جلس بنهاية الغرفة يحدق في وجهي فقط، ومرّ الوقت بطيئاً حتى اختفى النهار، وجاء الليل وهو جالسٌ مصوباً نظراته نحوي، للحظةٍ فكرتُ أن أجاريه ثم أعود إلى قواعدي سالماً لكنني عدتُ لصوابي مرةً أخرى، لا مساس بالدين!

شعرتُ به يتحرك ورأيتُ ظله يتضخم؛ فاستعدتُ بالله من ذلك الحقير- يظنُّ أن قصر قامتي يُسبب عائقاً أو مشكلةً نفسيةً لي ويود استغلالها- حتى شعرتُ بيد تتحرك أعلى ظهري، استدرتُ نحوه وأنا أتمتمُّ بما أحفظه من آيات فكرر الأمر مرةً أخرى، لذا كررتُ الذكر مع القرآن، ثمّ سرعان ما اختفى الصوت والظل واتخذتُ قراري؛ سأذهب إلى نور وأبيها، لن أهرب وأنا من عاش عمراً كاملاً يُحاربُ من أجل الحق، لن أنتظر إلى الصباح حتى لو كان في الأمر هلاكي، الحمد

لله أني لم أنجرف في تيار الشعوذة والسحر وأنا من نصح الناس ألف مرة بأن
يبتعدوا عنه، فكيف أقوم بدس قدمي في بداية الطريق الموحد بكامل إرادتي.
كنت أشعر أن هناك قوة تحاول منعي وكان بداخلي يقين أنها ذلك القرين الحقيق،
ولم تمض ثوانٍ حتى ظهر أمامي وهو يقول:

_ إن ذهبت إلى هناك ستموت، لن تصل إلى بابها، ورغم كراهيتي لك فلا أريد
موتك.

قلت له بصراحة:

_ وأنا لا أريد منك أيّة مساعدة.

خرجت من الباب مندفعًا وأنا ألعنه وأستعيز بالله منه حتى قال:

_ سأذهب بك إلى الغريب لكن لا تعد إلى نور فتهلكنا معًا.

توقفت برهةً لأرتب أفكاري، ثم قلت:

_ وما المقابل؟

قال بنفاد صبر:

_ المقابل ألا تواجه ذلك الجني مباشرة فتتموت أنت، وأصبح أنا أسيرًا لهم.

سألته:

_ بعد موت البشري أين يذهب قرينه؟

قال ساخرًا:

_ وتخبّر الجميع أنك الشيخ محمود الذي له باع في عالم الجن، ولا تعلم أننا
نكون تحت إمرة أحد الأبالسة.

كنت في حيرة من أمري؛ إمّا أن أستمع لهذا الملعون الذي يثير خوفي أكثر من
أي جني بخبثه ومكره أو أن أذهب إلى نور وأواجه ذلك الجني..

حرب

جلست في مكتبة أبكم متذكرًا طفولتنا في الكهوف، تذكرت خوفنا من الجن في
الليالي الأربعين الأولى، تذكرت الليلة التي غيرت أفكارنا عندما علمنا أننا خدام
للجن منذ تأسيس جماعة الروحانيين، تذكرت ارتجافة صوته وهو يخبرني
بقانونهم السري:

_ البشر سيأخذون لقب الأسياد، ولكنهم سيكونون الخدام.

وتذكرت كيف فسره لي أبكم وهو يقول:

إنَّ الروحاني الأول أراد حماية الجان من ضعفهم الأكبر (الحرف والكلمة) فجعل حراس وحماة الجان هم من يمتلكون قوة الحرف والكلمة، وأعطاهم لقبًا فضفاضًا مثل: السيد. وأخذ هو السيادة بعد ذلك، كل شيء يدور من وراء ستار ونحن البشر مجرد قطع شطرنج يحكمها الجان بلعبة الجماعات والأخوة. كان ما قاله يشبه ما يحدث في عالمنا البشري، ولكن هل كل ما عشناه حقًا وهم؟!؟

كلُّ عمرنا الضائع، رفضت الفكرة في البداية لكن الشك الذي ظننته سيكون بداية الإيمان جاء ليهدم كل ثوابت عن حياتي وجماعتي التي عشت معها ومن أجلها، انحدرت دمعة على خدي ليقول ماذر في عطف:

أعلم أنك كنت تحبه لكن كما يقولون الحي أبقى من الميت.

إن بعض الناس يرون وفاة الصديق مجرد لحم ودم، أو حدث يجب أن نتجاوزه، والحي أبقى من الميت، أما أنا فأراه أحلامًا وذكريات لم تكتمل، أراه عطاءً لا ينتهي بانتهاء الروح.

قلت لماذر بكل ثقة متصفحًا بالكتاب الذي على المكتب:

لذلك ترك لي هذا الكتاب، في الصفحة الرابعة وضع علامة على (الجن الترابي) وفي الصفحة الخامسة (الجن المائي) وفي الصفحة السادسة ترك علامة على (قاتل زوجتي) أو من أصدر الأمر، أتعلم من هو؟!؟

لم يقل شيئًا، فأكملت:

الروحاني الأكبر.

قال لي ماذر:

وكيف علمت هذا؟

قلت بتوتر:

تدربنا على يد روحاني واحد.

دائمًا كان يقول ألكم إنني أجد نفسي بين الكتب وأشعر بالغرابة مع البشر، ولم يكن يجد طريقة يخفي بها الأشياء عنهم إلا الطرق البشرية التقليدية، لا أحد سيبحث بين الكتب عن نقطة صغيرة في كتاب، هو يعلم أنني سأواجه ثلاثة في المواجهة الأخيرة فترك في كل صفحة علامة تخبرني عنه، أو من أية قبيلة، أما السادس والأخير فقد ترك لي لقب (رأس الأفعى) نفسه.

الغد سيكون يوم نهاية الحرب يا صديقي لكن يمكنك أن تنجو بنفسك على الأقل بعيدًا عن معركة لا أظن أنني سأنجو منها؛ فإن كان انتصارنا على نورسين ورعد صدفة وبفضلك فموتنا بلا بديل آخر.

قال ماذر:

_ ما تقوله ربما يكون واقعياً، بحسبة بسيطة فالإنسيان اللذان سيحاربانك هما سجين ودمار، وتلك أسمائهما السحرية، ولا نعلم أسمائهما الحقيقية، أما الروحاني الأكبر فلا نعلم اسماً له غير أنه يملك أعواماً من الخبرة في عالم الروحانيين تضاعف أعوامك، لن ننتصر بالتأكيد، ولكن الاستسلام أيضاً سيجعلنا ننتظرهم طويلاً في الجحيم؛ لذا يجب أن نُعجل بموت بعضهم لأنهم في كل الأحوال لن يتركونا، وأيضاً من قال إن كل ناجٍ في معركة الحياة عاشها سعيداً!
قلت ضاحكاً:

_ أنا أعرض عليك النجاة وأنت تعرض عليّ الموت.

قال متجاهلاً حديثي:

_ غير أنهم جميعاً يعرفون أن هبتك التي تملكها هي السرعة في اتخاذ القرارات، عقلك يسبق الجميع بثانية، وحتى الآن لا نعلم كيف فقدتها مع نورسين ورعد، ولا نعرف أيّ هباتٍ يمتلكونها.

كأن اقتربنا من الموت جعلنا ننسى جلالة الحدث؛ فقلتُ ضاحكاً:

_ كان النصر متوقفاً على قتلي للبشريين، وأنت حسمت مقتل نظرائك من الجن.

توقفت للحظة، ثم أكملت:

_ سيفتكون بك، لييتني انضممت إلى جماعة الغريب!

نظر لي ماذر غاضباً وهو يقول:

_ لا تنطق بتلك الترهات مرة أخرى، جماعات الغريب اللعينة تُشبه العصابات، لقد قتلوا أختاً لي لأنه رفض الانضمام إليهم، ولا تنس أنهم يُبشرون بقدومه منذ ألف عام وأكثر ولم يأت، إنهم مؤمنون به أكثر من الأديان نفسها.

قلت له:

_ أتمنى أن يكون هذا حقيقياً، أتمنى أن يعود كما قال قبل اختفائه لكن أخبرني يا ماذر.. هل واجهت من قبل أحداً من الجن المائي أو الترابي؟

قال ساخراً:

_ لقد رتب لي القدرُ لقائهم القادم في يوم واحد.. لكني أعلم طبيعتهم.

قاطعته بعد أن رشفت رشفة من كوب الماء الموجود على المكتب:

_ ستخبرني ان الجن المائي يعيش في الماء ومن بينهم الغطاس والغواص، وأنهم يستطيعون الطيران في خطوط مائية معقدة عن طريق بخار الماء وهذا العبث.

قال ماذر:

_ لا، لن أقول هذا، كنت سأقول إنك يجب أن تخشى كل شربة ماء لأن أصغر ساحر بإمكانه أن يسهل تحكم الجنى المائى في جسدك عن طريق ماءٍ قرأ عليه تعويذاته، فيجب أن تنتبه لنفسك أو ربما يكون قد حدث هذا منذ ثوانٍ.

تقيأت ما بحلقى، لأجد ماذر منكفئاً على وجهه من كثرة الضحك وهو يقول:

_ يجب أن تنتبه من الترايبين أيضاً فربما يكون أحدهم أسفل قدمك الآن يحفر بين الشقوق، والغريب أن ميزتهم يا حرب هي نفس ميزتك، إنهم أسرع من الجميع.

شعرتُ برجفةٍ أسفل قدمي فظننت أنها تهيوأت أو شيئاً يفعلها ماذر ليتلاعب بعقلي.. لكن تلك التعويذة المفاجئة التي تلقاها بدلاً مني على يد الروحاني الأكبر قذفت به فوق جسدي، ليقول وهو يحاول الابتسام:

_ صدق من قال عندكم بعد كثرة الضحك “اللهم اجعله خيراً“، اهرب يا حرب!

قال جملته الأخيرة ليخرج الجن الترابي بهينته القبيحة من أسفل قدم ماذر، ويظهر من بعيد الروحاني الأكبر، وأمامه كان يقف سجين ودمار.

الروحاني الأكبر

ما إن عدت إلى قصري وجلستُ على كرسي الروحاني الأكبر أجهشتُ بالبكاء مرة ثانية متذكراً نصيحة ابني بأن أبتعد عن عالم الروحانيين، لم يستطع أن يستوعب أن والده الرجل الأول، ولم يستطع فهم القاعدة غير المكتوبة لكنها واضحة للجميع في مجتمع الروحانيين، من يخرج من هنا سيعود حتى لو اضطرنا ذلك إلى جعله يفقد كل من يحبهم أو فقد روحه في النهاية إن لم يعد، ولم أرفض خوفاً من فقدان أسرتي بل رفضتُ لأنه لا أحد غيري يستحق الحكم، لا أحد غيري يستحق اللقب الأعلى بين القبائل السبع، أنا الروحاني الأكبر.

أغمضتُ عيني وفتحتهما لأجد أمامي خادمي من الجان، قال معزياً:

_ لقد وصلتني الأخبار، وأقسم لك أنني سأبديد تلك القبيلة من أجلك.

شعرت بالامتنان نحوه رغم علمي في المرحلة الأخيرة أنه لم يكن يطلب شيئاً في بداية أخوتنا حتى أصبحت الروحاني الأكبر، فأنفتح سيل من الطلبات جعلتني أشعر أنه الحاكم، ولسوء حظي أستطيع مخالفة كل أوامره فذلك من القوانين الأساسية والمشيئة لعالمنا.

قلتُ مغيراً دفة الحديث حتى لا أغرق في أحزاني:

_ هل علمت من البنيت كيف كانت تتجسس على اجتماعنا؟ وهل تلك هي المرة الأولى لها أم كانت هناك مرات سابقة؟

قال:

_ علمت كل شيء عنها وكيف تجسست علينا.

سألته:

_ هل للغريب يد في الموضوع؟

قال بابتسامه ملتوية:

_ ربما من أرسلها هو الغريب.

سألته بتوتر:

_ كيف هذا؟!!

قال بصوت متدرج من الخفيض إلى الأعلى:

_ أتتذكر الفتى في حفل الاختيار؟ ذلك الفتى الذي منع الجن من اقتحام جسده رغم وضعه في صندوق الاختيار الذي يضعف من قوة الهالات، إنه الغريب.

قلت متعجباً:

_ كنت أظن أن الغريب هو الحظرد الذي ضاع في الأزمنة لكنك تخبرني بشيء أعرب من هذا.

قال بصوت معتدل وصارم:

_ الغريب لن يعود بجسده، لقد عاد عن طريق أحد نسله، لا تنس أن الغريب من المصريين القدماء وذلك الولد يملك هالات لا نعلم عددها حتى الآن، إنه يتحكم بالطيور ويرى بأعينها، ويصد الجان ويمنعهم من دخول جسده وينتقل بين العقول ويدس بداخلها ما يشاء عند نوم أصحابها، ألا يشرح ذلك الأمر؟!!

نظرت له دون أن أنطق بشيء فأكمل قائلاً:

_ عندما احتلت عقل البنت الصغيرة وجدته هناك وقد هاجمني في الحلم الذي صنعه داخل عقلها، لم أستطع أن أقرب منه أو أحتل جسده، إنه الغريب ويجب أن ننهي حياته قبل أن تستفحل خبراته ويتمكن من التحكم في قدراته، ولكن ذلك يحتاج إلى موافقتك.

قلت له بتوتر:

_ لو علم الروحانيون أنني قتلت واحداً من قبيلتي ستكون فضيحة لي كحاكم، بالأخص بعد عملية السفليين.

قال هو مكماً:

_ ولو تركناه سيكون عالمنا كله مهدداً، ولن يكون هناك روحاني أكبر. أيهما أهم؟! إنقاذ عالمنا كله أم المخاطرة وترك روحاني صغير لم يثبت حتى ولاه لك؟!!

ولا تنس أنك ضحيت بالسفليين من أجل شك لم تثبته، فلا مانع من زيادة فرد آخر.

قلت ساخرًا:

السفليون وقتلهم كانت خطتك، حتى من حضر من الجان كانوا أغلبهم ضعفاء أو كنت ناقمًا عليهم، لا تظن أنني غبي فربما أخبرت الآخرين في اللحظات الأخيرة بعدم الحضور لتلك المجزرة.

قال ضاحكًا:

بل قمت بأسرهم وأخرجتهم بعدما أخبرتهم أن ذلك كان من أجل إنقاذ أرواحهم؛ لذلك سيدينون لنا بالوفاء.

قلت:

بل لك.

قال:

أنا وأنت واحد.. أنت الحاكم وأنا خادمك المخلص.

كنت أشعر باختناق و غضب كبير؛ لذا قلت له:

أحضر ذلك الصبي والفتاة وأنا سأنتهي موضوعًا قد طال، سيعود مجتمع الروحانيين هادئًا مثل بحيرة في ليلة صيفية، حتى لو كلفني هذا أن أقتل كل من يعترض طريقي.

بدر

رغم رحابة الكهف واتساعه كنت أشعر أن العالم ضيق وأن أنفاسي تخرج بصعوبة، الانتظار مرّ والأكثر مرارة منه تعلم الصبر، إن ما يدفعني إلى الاستمرار في الحياة نفسها ليست المتع القليلة التي يحظى بها فتى يتيم مثلي بل لأنني سأرى كل يوم نور التي أحببتها في صمت لخمسة أعوام كاملة، وعندما اقتربنا من بعضنا أصبحت في خطرٍ سببه أنا.

جلست منتظرًا ذلك الجني، داعيًا الله أن تمر اللحظات سريعة حتى أنني أخذت عهدًا على نفسي إن نجاني الله أنا ونور لأترك العالم السحري كله خلف ظهري، لا أريد غير صداقة خادمي وسأتركه أيضًا إن كان ذلك سيؤدي نور، أغمضت

عينيَّ منتظرًا أن تغفو، محاولًا الوصول إليها للمرة المائة حتى عاد الجنى وهو يقول:

_ ستصبح لي خدمةً عندك، ستردها يومًا ما، هذا هو القانون الأول في عالم الروحانيين ورفضك له سيخرجك من عالمنا لو تأخرت بتنفيذ ثلاثة من خدماتي المتأخرة.

قلت له بنفاد صبر:

_ أعطني التعويذة وليكن ما سيكون!

قال محذرًا:

_ لكن أريد أن أخبرك يا بدر أنك لن تستطيع صدَّ أي جنى عن دخول جسدك، بعد اليوم ستكون مباحًا للجميع، حتى أنا.

قلت له:

_ لا يهم ما سيحدث لي، يكفي ما أصابها.

ثم سألته:

_ هل يحتاج إلى رسم معين أو دماء أو شيئًا من هذا؟

قال بهدوء:

_ أنت روحاني يا بدر، تلك الأشياء للسحرة العاديين، ما ستتعلمه في عالمنا هو قوة الكلمة نفسها بدون جن أو غيره؛ القوة التي تستطيع تغيير الطبيعة نفسها، لكن يجب عليك حفظ الكلمات جيدًا، إنها مزيجٌ صنعه الغريب والروحاني، ستردهه باللغة القديمة لكن سأتلو عليك معناه بالعربية.

(بحقَّ الحرف والكلمات، والأقدمين آدم وسوميا وأرواح النور، أقسمت عليكم أيها المطيعون لله، يا أصحاب الأرواح الروحانية، وبحق من جعل بأيديكم حرابًا تشعل نارًا وسيوفًا من نور، وظلامًا في أعين أعدائكم، أسألكم أن تأخذوا قوتي وتعطوها لـ.... وتقول اسم الشخص المراد.)

قلت:

_ فقط هكذا.

قال:

_ ثم تجرحُ يدك حتى تسقط ثلاث قطرات من الدم أو سبعا.

أغلقت عينيَّ محاولًا الوصول إلى نور مرة أخرى إلا إنني فوجئت بنفسى أقف في منتصف الصالة ببيت نور وهذا الجنى ينتظرني، قال:

_ أنت الآن في بيتها، لو كنت شخصاً عادياً لاستقبلتك بداخل رأسي حتى ترى الجحيم بعينه لكن دماء الغريب تسري في جسدك؛ لذلك سأخبرك بسر صغير، إن حبيبك سجيناً الآن وبينها وبين الموت لحظات، لو كنت تريد إنقاذها سيأتي اثنين من أتباعي، بكامل الهدوء اتبعهما ولا تحاول مقاومتها، محاولتك وحدها ستجعلني أنهي حياتها قبل أن تودعها.

كنت أجول بالمكان محاولاً رؤية نور لكنني فشلت ولم أر غير أتباعه، فقلت له:

_ أيها الحقير!

ضحك بابتسامةٍ لم أر أبشع منها، حتى دخل رجلٌ قصير القامة وهو يردد:

” أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.”

ثم بدأ في تلاوة بعض الآيات من سورة الجن، فرأيت بعض أتباعه يفرون من المكان، وقتها شاهدت نور بداخل غرفتها ترتجف وحولها جمعٌ من الوحوش الغريبة، ورغم انزعاج قائدهم إلا إنه صمد ولطم الرجل على صدره فسقط مغشياً عليه، ثم صرخ بي غاضباً:

_ لا أريدُ منك أية مقاومة، ستذهب معهم والآن.

استيقظت من غفوتي لأجد خادمي يقف بين ثلاثة من الجان، فتحركت معهم نحو نهايتي وبداخلي قلبٌ مفطور بالحزن على نور التي لم يكن لها ذنب في كل ما يحدث، كنت أتمنى أن نكون معاً آمنين متحابين لكنني تيقنت أن الحياة ابتلعتنا في ظلمةٍ لا نهاية لها.

جاسر

قصصت الروى التي رأيتُ فيها الغريب مع الروحاني الأول على الأخوين، ولم تتثر نظراتهما المتبادلة حيرتي في تلك المرة، فكان بينهما من التفاهم ما يكفي لشرح ما بداخل النفس بنظرة أو نصف ابتسامة، ودون أن ينطقا بكلمة واحدة وبعد أن أنهيت كلامي سألتُ صاحب المطعم:

_ أئن تخبرني بما يُشبع فضولي ناحية المطعم؟

قال بعد تفكيرٍ دام لثوانٍ:

_ سأخبرك، المطعم كائن حي.

نظرت له مندهشاً وأنا أقول مستنكراً:

_ هل تتحدثُ بجديّة أم تسخر مني؟!!

قال بوضوح:

_ صدقتني هذا ما تأكدتُ منه، القدامى قاموا بقتل أمثاله.

سألته:

_ ومن هم القدامى أيضاً؟

جلس بعد أن نظر لأخيه مبتسماً وقال:

_ قبل البشر كان هناك الكثير من أمثال المطعم، إنه يعيش بلا رابطٍ زمني ومكاني، يسبحُ في الزمن والمكان، فما تظنه ماضياً أو حاضراً أو حتى مستقبلاً هو لا شيء بالنسبة له، وما تظنه سحراً هو شيءٌ عادي لهم؛ لذلك يخشى الروحانيون من الغرباء أمثالي، فنحن أصحاب الأماكن يمكننا أن نفعل الكثير، ما تتخيله وما لا تتخيله، وإلا كيف أحضر لك عقل الغريب مُحملاً بذكرياته؟!

إنه السحر الأول أو ربما شيئاً يفوق السحر والروحانيات، ولظروف أيضاً لا أعلمها اختفى القدماء في بعدٍ آخر لا نستطيع الوصول لهم فيه إلا في حالات نادرة، ولا هم أيضاً يستطيعون المرور لعالمنا وإلا ستحدث كارثة لن نتحملها نحن والجان، مثلما أصبح الجان أيضاً في بعدٍ آخر، لا نستطيع رؤيتهم واحتكاكنا بهم بسيط، أم كنت تظن أن هذا العالم كله لا يحمل فوق ظهره إلا البشر والجان!

ظهر القدامى وبعد فترة شعروا بالخوف من الأشياء التي تشبه المطعم؛ فقاموا بتتبعها زمنياً حتى قضوا على معظمها، ونجا القليل منهم، ثم أصبح الجان هم سادة الأرض حتى جننا نحن..

لم أستطع أن أكمل الاستماع لحديثه الأخير؛ فقد شعرتُ بنفسي داخل ذكري جديدة، كان الروحاني الأول يخطب بالروحانيين ويقول:

_ اليوم جمعتمكم من أجل حدثٍ أزنني وسيُحزن عالمنا كله، اليوم قام خليلي وأخي الذي تعرفونه باسم الغريب برفض الطلب السابع لي، ورغم أن قانون الروحانيين الأول يحكم على الجميع بالأيتراكم عليهم أكثر من ثلاث طلبات.. إلا أنني كنتُ رفيقاً به وهو مدينٌ لي بعشرات الأوامر التي نفذتها له...

قال الأمر نصّاً لي:

_ لن أنفذ لك طلباً بعد الآن أيها الـ.... عفواً، لقد قام بسبب قائدكم وأحضرتة لقفص الاختيار حتى يُخبركم بنفسه أنني لا أكذب، أعلم أن وقع الأمر سيكون محزناً على جميع الروحانيين من البشر قبل الجان لكن القانون هو القانون، يجب أن نحترمه وسيخرج الغريب من جماعتنا للأبد، وإن تحدثت عنا بحرفٍ واحد فمصيره سيكون الموت.

ثم أشار باتجاه اليسار ليظهر قفص الاختيار وبداخله الغريب مكتم الفم، ومقيد القدمين واليدين، ذهب رجلٌ ناحيته ليفك القيد عن فمه فيسأله الروحاني الأول:

_ هل ترفض تنفيذ أوامري؟

قال الغريب بغضب:

_ وسأقتلك أيضًا قبل نهاية اليوم، لقد علمتُك كل شيء عني، وأعلمتُك سر بعض الهبات لكني احتفظتُ ببعض أسرارها، لم يعد هناك الكثير من الوقت أمامك للتعلم فستنتهي حياتك الآن، وكلما ظهر واحدٌ مثلك سأعود لأقتله، نعم سأعود حتى لو كنت ميتاً في قبر.

تعالت الهمهمات المعارضة لقوله بين الحضور وتهديده للروحاني الأول، وبعضهم صمت احتراماً وتقديرًا له، كنتُ بجسد الغريب، أشعر بإحساس الثقة بداخله ورغم ذلك توقعت أن تكون نهايته سريعة على يد الروحاني الأول ورجاله.. لكن ما حدث كان عكس ذلك، ولم أفقد ذهولي وانبهاري بما فعله، إن كان هناك من يستحق لقب الروحاني الأعظم فهو الغريب.

ظللتُ منبهراً حتى بعدما أيقظني أحمد صاحب المطعم ليخبرني أن أعداد من الجن يحاصرون المطعم بالخارج في ازدياد.. لكننا مازلنا مخفيين عنهم، وكنتُ أشعر بالأمان بالداخل.

سألني قائلاً:

_ ماذا رأيت في الحلم؟

قلت له:

_ رأيت كيف استطاع الغريب أن يقتل الروحاني الأول قبل اختفائه، وأظن أن التاريخ سيتكرر.

أجابني بصرامةٍ أكثر:

_ لا أريد أن تخبرني كيف قتل الغريب الروحاني الأول، أريدك أنت أن تخبرني كيف قتلت الروحاني الأكبر السابق يا حرب!

قلت له بتوتر:

_ تقصد جاسر، أظنك لم تحفظ اسمي جيداً.

قال بهدوء:

_ بل حرب، أعلم أنك من قتل الروحاني الأكبر السابق وكنت تريد الانتقام لزوجتك، لقد تتبعتُ تاريخك حتى أخذوك أسيراً من مكتب صديقك أبكم، أما ما حدث بعد ذلك فأنا لا أعلم شيئاً عنه، فهل ستخبرني أم أنني أدافع عن شخص لا يثق بي رغم أن المنات يحاصرون مطعمي منتظرين ظهوره ولو لثانية واحدة حتى يقتحموه؟

قلت له:

_ سأخبرك.

كنت ساقطا على الأرض وبين يدي ماذر يلفظ أنفاسه الأخيرة، أطلقت صرخة مبتورة بعد أن ألقى جحيم بتعويذة منعت فمي عن الحديث، أعلم بفضل أبكم أن المنافس الأخير هو الروحاني الأكبر لكنني لم أتوقع أن يأتي مع جحيم ومارد، كان يخشى أن تزيد انتصاراتي من شعبيتي.

ثم سمعته يقول لجحيم ودمار:

_ هل هذا هو الرجل الذي قتل منّا ثلاثة؟

وقفت على قدمي فاقداً قدرتي على السحر وناظرًا له بكل غضب وكره، ثم انقضت عليه بوثبة كنت أظنها قوية إلا إن جسمي ارتد إلى الخلف بعدما ألقى جحيم تعويذة أخرى نحوي، كنت أريد البكاء بشدة لكن منعت نفسي حتى أعيش لحظاتي الأخيرة بكرامة..

قال الروحاني الأكبر لهما:

_ أحضراه معكما إلى قصري، فيجب أن نعذبه بحق كل روح قتلها من الجن والإس، يجب أن يكون عبرة وتعلق جثته حتى لا يفكر أي روحاني في الخروج عن جماعتنا مرة أخرى.

قام خدامهم بتكثيف جسمي ولم أستطع أن ألقى على ماذر نظرة أخيرة وأنا مقيدٌ بهذا الشكل، وبدون إرادة مني سقطت دمعة ساخنة على رحيل صديقي الثاني، فقدت كل أسرتي من زوجة وإخوة ورفاق، وكل هذا بسبب إصراري على الانتقام.

نطق الخادم الذي يحملني بتعويذة الانتقال لأجد نفسي مقيداً بقفص حديدي وبجواري قفصين آخرين، بهما فتى صغير وفتاة يسقط الزبد من فمها ولا تدرك ما حولها، وسمعت الروحاني الأول يسأل خادمه:

_ ما بال تلك الفتاة؟

أجابه خادمه:

_ أحد صغار الجان بداخلها يعبث بعقلها.

اقترب الروحاني الأكبر مني، وقال:

_ سأخلص من الصغار ثم سأتركك للنهاية، في البداية سأفقد عينيك حتى لا ترى عالماً مرة أخرى وسأصيب الحديد في أذنك حتى لا تسمع ولا تدرك ما حولك، ثم سأزرع جلدك وجلد كل من يحاول أن يهد ذلك العرش، أتظن أن العالم بالخارج يديره البشر؟!!

أتريد منا ترك كل ما وصلنا إليه من أجل لحظة حمقاء تمرُّ بكل غبي شعر بالحب؟!!

كان تحركك السريع هو موهبتك الوحيدة، وقد ألقيت تعويذة على شرابك لتبطئ من سرعتك وتفكيرك يوم دخلت إلى هنا دون أن تشعر، جعلت منك شخصاً عادياً

ورغم ذلك قتلت ثلاثة منا، سأقتلك يا حرب أنت وكل من يفكر في تغيير عالمنا!
أنتم لا تفقهون أي شيء ولا تدركون حجم تضحياتنا من أجلكم، وبعد كل هذا لا
نجد منكم إلا أشد نكران.

كان يصرخ كأنني من قتل أسرته وليس العكس، الغريب أنه كان يُصدق كل حرف،
ثم نظر للفتاة بعد أن أشار للجني بداخلها أن يخرج، وبعد أن استفاقت قال:

_ أعلم أنك شخص ضعيف لكنك رأيت ما لا يجب أن تريه، إن كان عليك لوم أحد
على موتك فيجب أن تلومي هذا الحقير.

كان الفتى يتمم ببعض الكلمات كأنه يسبه في سره.. حتى صرخ فيه الروحاني
الأكبر:

_ لا يعجبك حديثي أيها الحقير، لا يعجبك أي شيء!

منذ انضمامك لنا وأنا أشعر أن بك أمرًا مختلفًا، ربما لست حفيد الغريب ولكن
حتى لو لم تكن من نسله فقد حسنا أمرك، ولن يذكرك أحد بعد اليوم حتى لو
بالشر.

أنهى الفتى تمتته لأشعر بشعور غريب يجتاحني، أصبحت أستطيع بقليل من
التركيز رؤية الهالة حول كل شخص هنا، حتى الجن الذين يقفون على أبواب
القاعة كنت أرى هالاتهم وكانت الأشد ظلمة حتى كادت تخفيه عن نظري- هالة
الروحاني الأكبر وخادمه، ثم جحيم ودمار بينما كان الفتى مضيقًا مثل شمس
نورها أبيض، وشعرت بمقدرتي على امتصاص هباتهم فاتخذت قرارًا بأخذها،
كان الأمر شبيهًا بالتهامي الطعام، شعرت بهباتهم جميعًا بداخلي، كانت مزيجًا من
الهبات، لم أستطع استيعابها جميعًا في البداية من قراءة الأفكار واختلاق الأوهام
للسرعة مرة أخرى، حتى ابتكار تعاويذ جديدة؛ تلك الهبة التي كان يملكها
الروحاني الأكبر وأصبحت ملكي.

ألقيت تعويذتي الأولى لتنتب من الأرض عشرات الأفاعي مهاجمة جحيم ورماد
لينظر الروحاني الأكبر لقفصي فيجذني خارجه، ليدب الفرع في القلوب عندما
عاد ماذر مرة أخرى مهاجمًا الجن الذين حاولوا أن يصيبوه إلا إنهم أخطئوا
إصابته في الوقت الذي كنت أتحرّك فيه نحو الروحاني الأكبر- الذي فقد هالته
لكنه لم يفقد قدرته على خلق السحر- وقبل أن أقترب منه ظهر خادمه أمامي وهو
يصرخ:

_ كل ذلك وهم، انتبهوا!

اختفى ماذر والثعابين كما ظهروا، التنتشق الأرض من أسفلهم ثم تظهر رأس
ثور بأعين حمراء، ليقول الروحاني الأكبر:

_ أجننت! أتعلم ما الذي حررته؟!!

قلت له بهدوء:

_ أحد شياطينكم غير المستأنسة.

حاول خادمه أن يخترق جسدي محتلاً إياه قبل أن يرتد جسده شاعراً بصاعقة ارتطمت به، لينظر إلى الفتى قائلاً:

_ أيها الحقير! كيف فعلتها؟!

كان الفتى ينظر إلى الفتاة الصغيرة بخوف وحب، وخرج الوحش الضخم من الأرض ليكتمل جسده البشري فوق أرضية القاعة وينفث النار من منخاره فيشعر الجن برهبة منه، عالمين أن قوة ضربته بإمكانها أن تعيد أجسادهم إلى طبيعتها الأولى النارية.. لكن جحيم ودمار قاما بمواجهته، فنفت النار من فمه قبل أن يرتطم بدمار قاتلاً إياه في نفس اللحظة التي ألقى جحيم بتعويدة خرجت منها حربة عبرت من عنقه فخار للمرة الأخيرة ساقطاً على الأرض، في أثناء ذلك ألقى الروحاني الأكبر بتعويدة تفاديتها بسرعتي لترتطم بجسد أحد الجان وتوقعه سريعاً، ثم ألقى بتعويدة أخرى لتنبت الأرض أغصان شجر سوداء التفت حول جسد جحيم، وتفادها المتبقون من الجان غير مستوعبين سرعة ما يحدث أمامهم، كأن عالمهم انقلب في دقيقة واحدة، وعندما حاولوا مهاجمتي كانت هناك آيات قرآنية تصدح بزواوية لم أستطع أن أراها بالغرفة، ليتألم خدمة جحيم ورعد ومعهم خادم الروحاني الأكبر الذي حاول أن يصل إلى الغرفة قبل أن تعرقله النباتات السوداء -التي نبتت في كل مكان- فكسر بعضها لتخرج من بينها مادة كاوية- حتى الأوكسجين الخارج من النباتات كانت له نكهة فاسدة مليئة بالخبث- وصوت الرجل يزداد علواً في الداخل..

حين وصلت إلى الروحاني الأكبر ترجاني قائلاً:

_ صدقتي لم أقتلها.

قلت له وأنا أشير بيدي نحوه فالتفت النباتات حول جسده:

_ بل فعلتها وبكل حقارة، وكل هذا لأنك خشيت على حكمك الذي سيزول. كأنك لم تتعلم شيئاً من مقتل الروحاني الأول ولا كل الطواغيت من البشر، لقد نسيت أنك بشر وظننت أنك نصف إله، لم تعلم أن الطواغيت جميعاً مصيرهم الجحيم، مشكلتك مثل كل من امتلكوا القوة من قبلك؛ لم يؤمن أحدهم أن سوء استخدامها يُعجل بسقوطه.

قمت بالبقاء تعويذة قاتلة نحو خادمه المقيد بأغصان النبات السوداء لتعتصر النباتات جسده قبل أن تفور مخرجة المادة الكاوية السوداء حول جسده الذي تفحم، أما صرخاته الشيطانية فمدت الرجل الذي لا أعرفه بقوة أكثر فصاح صوته عالياً بالقرآن، وفتح (جحيم) الذي تخلص من قيوده باب القاعة، والذي كان يقف خلفه عشرات من الخدمة والروحانيون وهم يرون الحربة التي اخترقت عنق الثور في يدي وأنا أطلقها بكل قوتي داخل فم الروحاني الأكبر الذي لم يستطع أن يصرخ صرخته الأخيرة.

شعروا بالذهول لما شاهدوه، وقبل أن يُفكروا بمهاجمتي قمت بنقل الفتى والفتاة بتعويذة الانتقال لمكان آمن، لتقول الفتاة بصوتٍ واهن:

_ أنقذ الشيخ محمود!

نظرت لها بتعجب مستفسراً قبل أن يقول الفتى:

_ الرجل في الغرفة المجاورة.

ذهبت لهنالك مخاطراً مرة أخرى لأجدهم يحاولون العبور إلى الغرفة الجانبية، فأخذت الرجل الذي لم يكف عن الذكر، وأيضاً نقلتُ والديهما، ومن يومها أصبح الجميع يطالبون بروحي.

_ وماذا عن الفتى والفتاة؟ من هما؟!

قلت:

_ الفتى كان روحانيًا صغيراً عنده بعض الهبات؛ منها هبة تجعله يحصل على هبات من حوله، وقد نقلها لي بتعويذة ثم أعدتها له بعد تلك المعركة هي وباقي الهبات.

ضحك زياد ساخرًا وهو يقول:

_ ساحر بأخلاق الفرسان!

قلت له:

_ أولاً لست بساحر، ثانيًا لقد كان مراهبًا خائفًا وقد أعطاني سلاحه الوحيد من أجل إنقاذ تلك الفتاة، ليتني استطعت أن أفعل مع زوجتي مثل ما فعله مع فتاته! كان شجاعًا، ولا تردُّ الشجاعةً بنذالة.

سأل أحمد:

_ ومن يحميهم الآن؟

قلت:

_ كما أخبرتك، لقد قمت بنقلهم وذويهم إلى مكان آمن، وعلمتُ الفتى بتعويذة الاختفاء التي أخفتهم عن الجميع؛ ليتضح أن جحيم لم يكن يعلم عنه الكثير أو لم يهتم به واعتبره نكرة خصوصًا أنه لم يفهم ما حدث.

سأل أحمد:

_ هل تقصد أن....

قاطعته:

_ نعم، لقد أصبح جحيم الروحاني الأكبر.

سألني أحمد:

_ وهل شفي عليك بالانتقام؟

قلتُ له:

_ ومن قال لك إني انتقمتم؟!!

إن انتقامي سيتم بإنقاذ كل طفل من وجوده بعالم الروحانيين، بأن يعيش طفولته بعيداً عن السحر والسحرة.

قال أحمد وهو يفكر بصوتٍ عالٍ:

_ الوحيد الذي انتصر عليك أصبح الروحاني الأكبر، ويعلم بقدراتك جيداً، كما شوه صورتك وجعلك مطارداً من قِبَل الجميع، وأنت فقدت قوتك التي انتصرت بها عليهم وجنت إلى مكانٍ سحري لتستجد بصاحبه، هل هذا مناقض لأفكارك ومبادئك أم إن الغاية تبرر الوسيلة؟! هل تظن أنك ستنجو يا حرب أم تود أن أناديك بجاسر؟

قلتُ له بغموض:

_ بل نادني بالغريب.

اقترب مني أحمد وهو يقول:

_ هل تقصد ما فهمته.

ابتسمت ضاحكاً وأنا أقول:

_ نعم، أنا نسل الغريب المنتظر الذي تقبع أفكاره وذكرياته بداخله، كل هذا الطريق الذي سرته رسمه الغريب لأحد أحفاده، أكثرهم كراهية لعالم الروحانيين أصبح الغريب، كما وعدهم يوم مقتله.

قال أحمد ببرود:

_ وكيف ستواجه الجحافل التي بالخارج وحدك؟

تغيرت نظرتي من الجمود إلى الكراهية وأنا أقول له:

_ في الوقت الذي كنت فيه هنا كنت أتواصل مع أتباعي، الغد سيكون يوم الخلاص، كل ما أريد أن أعرفه: هل أنتما معي في تلك الحرب؟

رد أحمد وزياد في آنٍ واحد:

_ بالطبع لا.

قلتُ له متظاهراً بعدم الاهتمام:

_ حتى لو أخبرتك أن ابن الحظرد في جيشي.

تغيرت جلستهما، وأمسك أحمد بياقة قميصي وهو يقول:

_ كيف علمت بهذا وأنت لم تخرج من هنا؟

قلت بهدوء:

_ لأن ابن الحظرد أرسل لي دعوة لأنضم إليهم ورفضتها، الخدعة كلها كانت في إبعاد الأنظار عني، وكان الحظرد يريد السيطرة التي فقدتها في الماضي حتى لو بخداع اتباعي فتركته يقوم بعلمي حتى أجد شيئاً يساعدني على هزيمتهم، ولا يوجد شيء مثل ذكريات وسحر الغريب داخلي.

اشتعل غضب الرجل وهو يقول:

_ ولماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟

قلت:

_ لقد أخبرتك أننا سنصل إليه لكن لم أخبرك بكل شيء؛ لأنك أيضاً لم تعطني ثقتك الكاملة، والآن كل الأوراق مكشوفة.

كان يشعر بحيرة إلا إنه حسم أمره قائلاً:

_ سأكون معك للمرة الأخيرة، وبعدها فراق بيني وبينك.

ابتسمت ابتسامة واسعة؛ فهذا كان أكثر مما توقعت.

(أحمد)

الحرب الأخيرة

هل نحن من نختار الطريق أم إن مسارات الحياة هي ما تجرفنا نحو هوة لم نكن سنختارها لو كنا عند نقطة البدء!؟

تساؤلات كثيرة كانت تدور بعقلي، هل أنا حقاً من اخترت أن أكون بداخل معركة ستهدد ما أصبحت عليه وربما تنتهي حياتي أم إن المعركة كانت في واد آخر ودُفعت إليها دفعاً بدون إرادة مني؟

الجمع بالخارج كان يتزايد غير عابئين بالمطر الساقط فوق رؤوسهم ولا بالرياح الشديدة، وأعين الجن تبرز في كل مكان حول المطعم منتظرين خروج المتمرد

الأكبر في تاريخ الروحانيين، الذي قتل صاحب أكبر رتبة في عالمهم ويريد أن يقتل الآخر، متمردٌ تدرج بين الغضب والخوف حتى وصل إلى بأسٍ شديد، احتلته روح فرعونية أشد ضراوة من روح الشيطان الذي احتل جسد صديق قديم ووصلت به إلى الموت نفسه.

قلت لأخي الأصغر زياد:

_ سنخرج أنا وحرب في البداية ثم نؤمن خروجك، فلا تخرج قبل إشارتي.

نظر نحوي متسائلاً:

_ أيّة إشارة؟!!

قلت له:

_ ستري ناراً في السماء، وقتها فقط ستأتي خلفي.

أوما برأسه موافقاً غير عالمٍ بأنّي أخدعه؛ فتحرّكت أنا وحرب إلى الباب لكن الغريب أنه لم يفتح.

سألني حرب:

_ ما به؟

قلت له:

_ المطعم يرفض خروجنا.

قال بنفاد صبر:

_ وماذا سنفعل؟!!

قلت:

_ سننتظر.

بعد دقائق نفذ بها صبره قال:

_ هل بالإمكان أن أقوم بتعويذة قديمة لنرى إن كان المطعم سيوافق على خروجنا بعدها أم لا؟!!

رفعت كتفي إلى أعلى وأسفل متحيراً، فجلس أمام باب المطعم يبحث عن شيء حتى وجده، كان سرباً من النمل، بدأ يتلو عليه تعويذة ثم أمسك بيده وجرحها ليتساقط دمه فوقه، وفعل نفس الشيء معي ليتضخم حجم السرب ويتحول إلى نسخٍ منا حتى امتلأ به المكان.

قلت له:

_ ما الذي فعلته؟

قال بهدوء:

_ إنه سحر الفراعة، سحر الأشباه، في الحالة الطبيعية يدوم السحر لساعة كاملة لكن مع المطر لن يدوم أكثر من دقائق.

انفتح الباب على مصراعيه ليخرج السرب مندفعاً ونحن بينهم لتصعقهم التعويذات يمناً ويساراً حتى وجدنا زقافاً نحن وبعض الأشباه، ومن خلفنا كانت هناك مجموعة من السحرة وبعض الجن قد صعقوا ثلاثة من أشباهي واثنين من أشباه حرب.

قلت لحرب:

_ لماذا لا تستخدم تعويذة انتقال؟

قال بهدوء:

_ هناك تعويذة تشتيت لانتقالي، بمجرد نُطقي لتعويذة انتقال سأجد نفسي حيث يريدون حتى لو كانت حفرة في النار.

قام بالقاء تعويذة على واحد منهم فصرخ البقية أنهم وجدوا الغريب، ليلحق بنا العشرات منهم فانحرفنا إلى زقاق آخر، ليظهر في نهايته شخص لم أتوقع رؤيته، فصرخت مندفعاً نحوه:

_ أيها اللعين..

قال حرب وهو يجري معي:

_ هل تعرفه؟

قلت له:

_ إنه ابن الحظرد.

ظهرت الصدمة واضحة على وجه حرب إلا إن أساريه سرعان ما انفرجت، فتحرك أمامنا ونحن خلفه، وأنا أحاول الوصول إليه حتى وصلنا إلى ساحة واسعة نائية، ممتلئة بالحشود من أتباع الغريب الذين هتفوا بكل قوتهم عند رؤيتنا باسم الغريب.

سألت ابن الحظرد:

_ كيف علمت أنه الغريب المنتظر؟

قال بتوتر:

_ لم أعلم، لقد كنت أظن أني الغريب أو هذا ما حاولوا اقتاعي به حتى احتشدت الحشود حول مطعمك السحري، وقتها أرسلت جواسيسي فأخبروني أن الروحاني

الأكبر يحاصر شخصًا بالداخل يقولون إنه الغريب، ولم يكن أمامي إلا الحضور معهم لإنقاذ الغريب، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من منصبى الجديد.

قلت له:

_ كنت أظنك شخصًا جديرًا بالاحترام؟

قال ساخرًا:

_ جميعنا نحاول إنقاذ ما نحب.

سألته:

_ وماذا الآن؟

قال بهدوء:

_ ستعلم، سنعلم جميعًا ولكن عليّ تذكيرك بشيء.

سألته:

_ ما هو؟

قال بغموض:

للحصول على شيء يجب أن نضحى بشيء له نفس القيمة.. -

وسرعان ما حضر حشد الروحانيين محتدًا ومستعدًا للهجوم، كنت أرى في حشود الروحانيين طاقةً وسحرًا يكفيان لتدمير الغرباء بكل سهولة لكن الغرباء كانوا أيضًا يحلمون بشغف ألا تتم معاملتهم كالعبيد مرةً أخرى.

كانوا يعلمون أن ثورتهم ليست على الروحانيين بل على فئات العلم الذي يلقي لهم من عالمهم، وكان يتبعهم الكثير من جن العمار وبعض فئات الجن الأخرى، لم يكونوا بقوة الروحانيين لكنهم كانوا كثرةً تشعرك بالأناهيّة لهم، ثم انفتح سيلُ التعويذات وخروج الكائنات السحرية، انزويت في مكان بعيد شاعرًا أنني في لوحة سريرية من السحر الخالص، وقام الحظرد بوضع تعويذة حامية لي لأشعر بمهانة حقيقية؛ لأنني غير مشارك في المعركة الأولى والأقوى بين السحرة والروحانيين، وخرجت حيوانات خرافية لم أكن سأصدق بوجودها لكنها كانت موجودة هناك، وبدأ سقوط المنات من جيشنا مقابل عشرات من جيشهم، فقام حربٍ بإطلاق تعويذة الجعارين (الجواعر) ليخرج جعران صغير أسود سرعان ما تضخم حتى أصبح بحجم رجل كامل، وتبعه سيل من الجعارين مهاجمين الروحانيين الذين أطلقوا تعاويذهم لتصيب ظهورهم مرتدة إليهم، وزاد صراخ الجن في المكان حتى أنني من واجه الشياطين ولم يخف شعرت بالخوف يدق قلبي، فأطلق حرب تعويذة الظلام ليعم الظلام المكان كله، وعندما بدأ الضوء يتبدد كانت هناك صرخات عالية من جحيم الذي تخلص من الجعارين مطالبًا الروحانيين بإفناء الغرباء.

لاحظت اختفاء حرب لكن إنشغال الغرباء بالحرب نفسها جعلهم لا يلاحظون الأمر بنفس السرعة، كانت الكفة متساوية بعد هجوم الجعارين إلا إن جحيم وجيشه سرعان ما عادوا لسيطرتهم حتى كادوا يشبتون الصفوف مما جعلني أتساءل: هل كل هذه الحرب من أجل كرسي أم من أجل امرأة؟!

لكني لم أصل لإجابة شافية..

صرخ جحيم قائلاً: أين أنت يا حرب؟ هل أنت جبان حتى تختفي خلف حفنة من السحرة والساحرات؟

كان كلامه بمثابة طعنة لجيش الغرباء الذي بدأ بالتقهقر بعد شعور أفراد بهرب قائدهم، وبدأت صفوفهم في التراجع أكثر حتى أصبحت مهددة، وغير قادرة على الخروج من تعويذة الحماية لولا سيول من النيران السوداء أطلقها من تبقوا من القبيلة السفلية على ظهور الروحانيين، ولولا اختفاء القائد لكانت الكفة رجحت لحسابنا إلا إنه بعد دقائق قام جيش جحيم بالالتفاف حولهم، وجعلهم في مقدمة جيشنا ولملم صفوفه بتكوين ثلثي دائرة حول الجميع فشعرت بأنها النهاية، ثم عاد حرب ومعه مراهق وضعه خلفه، ثم لاحظنا شيئاً على جيش جحيم، لقد شعرنا باهتزاز أجسادهم جميعاً وشعورهم بالضعف، ليقف حرب في منتصف الدائرة صارخاً وهو يصد هجوم أحد الروحانيين قائلاً:

__ إنَّ الغريب لم يأت لقتل أهله وعشيرته، أنتم تعلمون مطالب حرب، لقد جئت من أجل شيء قاله الروحاني الأول ولم يفعله، جئت لنكون إخوة؛ فهل تريدون ذلك أم نكمل حرباً لن تعيد لكم قواكم التي سلبتها منكم؟! فكل من امتلك هبة يوماً ما أصبحت ملكي.

توقف الجميع بعد تلك الجملة فقد كانوا يعلمون بصدقها- ليخرج إليه جحيم من خلف صفوفه قائلاً:

__ لقد قتلت الروحاني الأول يا حرب، وهربت باسم جاسر حتى لا نستطيع تتبُّع خطاك، والآن تطلب منا أن نُصدقك؟

قال حرب بغضب:

__ أنت تعلم أن قائدك قتل زوجتي وخطط لقتلي، وخلفته أنت في القيادة لمواصلة نفس الطريق بدون أي تغيير.

ضحك جحيم مستهزئاً ليقول حرب:

__ أنا أعلم أنك لن تؤمن بما أو من به، فقد قمتُ بثورة ضد الظلم، لم تكن هذه الحرب من أجل انتقام شخصي بل كانت لإيماني بأن الظلم لن يتغير وحده، والآن أمامكم طريق من اثنين؛ أن نكمل حرباً سيموت فيها الكثير وينتصر من ينتصر فأنا يكفيني أني حاربت الظلم، وسيأتي بعدي ألف غريب مثلي ويوماً ما سينتصر أحدهم- أو نتفق على إنهاء الظلم، وفي النهاية كلنا إخوة، وستعود لكم

قواكم وهباتكم ولا سيادة للجن على الإنس ولا العكس، ولا لأصحاب القوى على غيرهم، لقد كنت واحداً منكم وسأظل كذلك.

كان حديثه مقنعاً، وشعر جحيم بفداحة موقفه بعدما شعر بتأييد الكثيرين لقول حرب؛ خوفاً منه بعد امتلاكه لهباتهم، فقال:

_ أنا موافق، وأمد يدي لك بالسلام.

تعالت الهتافات المؤيدة باسم الغريب الذي نظر لهم بحب ورفع يده ممتناً ليسقط حرب على الأرض بعدها إثر تعويذة مميتة أطلقها جحيم، لنرى ابتسامته وهو يقول:

_ هل صدقت نفسك؟! منذ متى والعبيد يتساوون بالأسياء؟! حتى في كل الأديان يقال إن الله خلقنا طبقات مختلفة، فكيف تريد أن تساوينا بالغرباء أيها الـ ...

ثم انزوى على الأرض متألماً، لتلتفت الأنظار كلها إلى الصبي الصغير الذي تأكدت منذ حضوره أنه بدر، ثم زادت صرخات جحيم وحاول خادمه مهاجمة بدر لكن قبل وصوله كانت النيران تشتعل بجسم جحيم من الداخل إلى الخارج، وصوت صراخه يعلو بالمكان حتى انفجر كأن بداخله أتون مشتعل..

قام ابن الحظرد بفك تعويذة الحماية؛ لأعدو تجاه حرب الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، وقال لي وهو يحاول الابتسام:

_ أريد منك شيئاً..

ثم أشار بيده للفتى قائلاً:

_ أن تعني ببدر ونور وذويهما.

كان بدر يقف بجواره، وقال باكياً:

_ لن تموت يا عم حرب، لن تموت، أرجوك تشبث بالحياة!

فقال حرب له:

_ لقد فعلت ما خلقت لأجله يا بدر، ويوماً ما ستكون أنت الروحاني الأكبر، وقتها يجب أن تحكم بالعدل.

وقف ابنُ الحظرد في المنتصف مخاطباً الجميع:

_ إن ما حدث يخبرنا أن حرب قد ظلم؛ فقد حاول قتله عندما مد يده بالسلام،

من فيكم لا يريد العدل؟ من يخشى العدل؟

لم يرد أحد؛ فاقترب من حرب الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة وقال:

_ سأكمل مسيرتك، لا تخف!

ليقول حرب له:

_ أريدك أن تخبرني بالتعويذة.

قال ابن الحظر:

أية تعويذة؟ -

قال حرب بصوت واهن متقطع:

_ الـتعويذة .. التي ست..رجع حبيبة أحمد من عالم القدماء.

همس له ابن الحظر بالتعويذة وهو يبتسم بخبث، ليخبر حرب بتعويذة أخيرة ويربت على كتفه، ليستمعوا له وهو يقول مستجمعاً كل قوته:

_ اليوم سأذهب في رحلة لن يعود منها الغريب مرة أخرى لكنني سأترك بداخل كل منكم غريباً، غريباً ثائراً ضد الشر والظلم، غريباً لا يصمت على ظلم أخيه وأقرانه، غريباً لا يفرق بين أخ وأخيه، وسأرشح لكم روحانياً آخر بدلاً مني، روحانياً وقف مع الخير ولن يظلم أحداً منكم، ولا يحتاج لكرسي حكم لأنه يمتلك سحر الأماكن، وبعد فترة سيمكنكم من التغيير.

امتقع وجهي ووجه ابن الحظر عندما فهمنا ما يرمي إليه، وأشار لي أن أصمت وأكمل قائلاً:

_ سأترك لكم أحمد صاحب المطعم ليكون الروحاني الأكبر، فهل أنتم موافقون على ترشيحي؟

تعالت كلمات التأييد، وأكمل قائلاً:

_والآن وداعاً.

نظر إلى بدر قائلاً:

_ لا تبك يا فتى، أنا أرى زوجتي الآن تنتظر لتستقبلني في الرحلة الأخرى وأيضاً صديقي الجني ماذر، وأبكم، أنا أرى كل الرفاق.. لقد وعدت أحمد بأن أساعده في عودة حبيبته وأظن أن روح رجل في طريقه للموت ليست بالكثير من أجل ما فعله معي، دعني أودعك..

ثم قام بتقبيل رأس بدر وهو يقول التعويذة الأخيرة ليختفي جسده، وتظهر بعد دقائق سلمى مكانه، تنتظر لي بدهشة قبل أن تجهش هي أيضاً في البكاء..

غريب هذا العالم؛ يبكي أهله عند الحزن والوداع، وعند الولادة والفرح..

النهاية

كان لما فعله بي الغريب مفعول السحر، لقد كنت شخصًا منزويًا بعالمه، لا يريد تغيير أي شخص أو أي شيء بالعالم، لقد كنت شخصًا أنانيًا وحتى المطعم الذي اختارني جلستُ بداخله محاولًا استعادة سلمى دون أن أقوم بأي تغيير أو خطوة تُقربني منها سوى الانتظار.. رغم أنه قام بتغيير حياتي للأفضل. لقد اتخذتُ قراري الأول لتغيير العالم من حولي، اتخذتُ قرارًا ثوريًا، والقرارُ الأهم في مسيرتي سيكون حفل زفافي أنا وسلمى في المطعم؛ لتكون البداية الجديدة، وأظن أن المطعم سيوافقتني على ذلك؛ لذلك أنت أيضًا مدعوٌ إلى حفل زفاف ستأكل به الطعم الذي تريده أنت أو الذي يريدك.

تمت